﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

رسالة المسجد

السنة 22 - العدد 2 / 1446 هـ - 2024م

مجلة محكمة تصدر عن وزارة شؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

- الأخلاق وضبط العلاقات الاجتماعية
- شواهد الاستماتة في استرجاع السيادة الوطنية المستلبة – طلبة المعهد الباديسي أنموذجا –
- توجيه الذكاء الاصطناعي في أخلقة الحياة العامة من خلال الهدي القرآني

العدد : 02

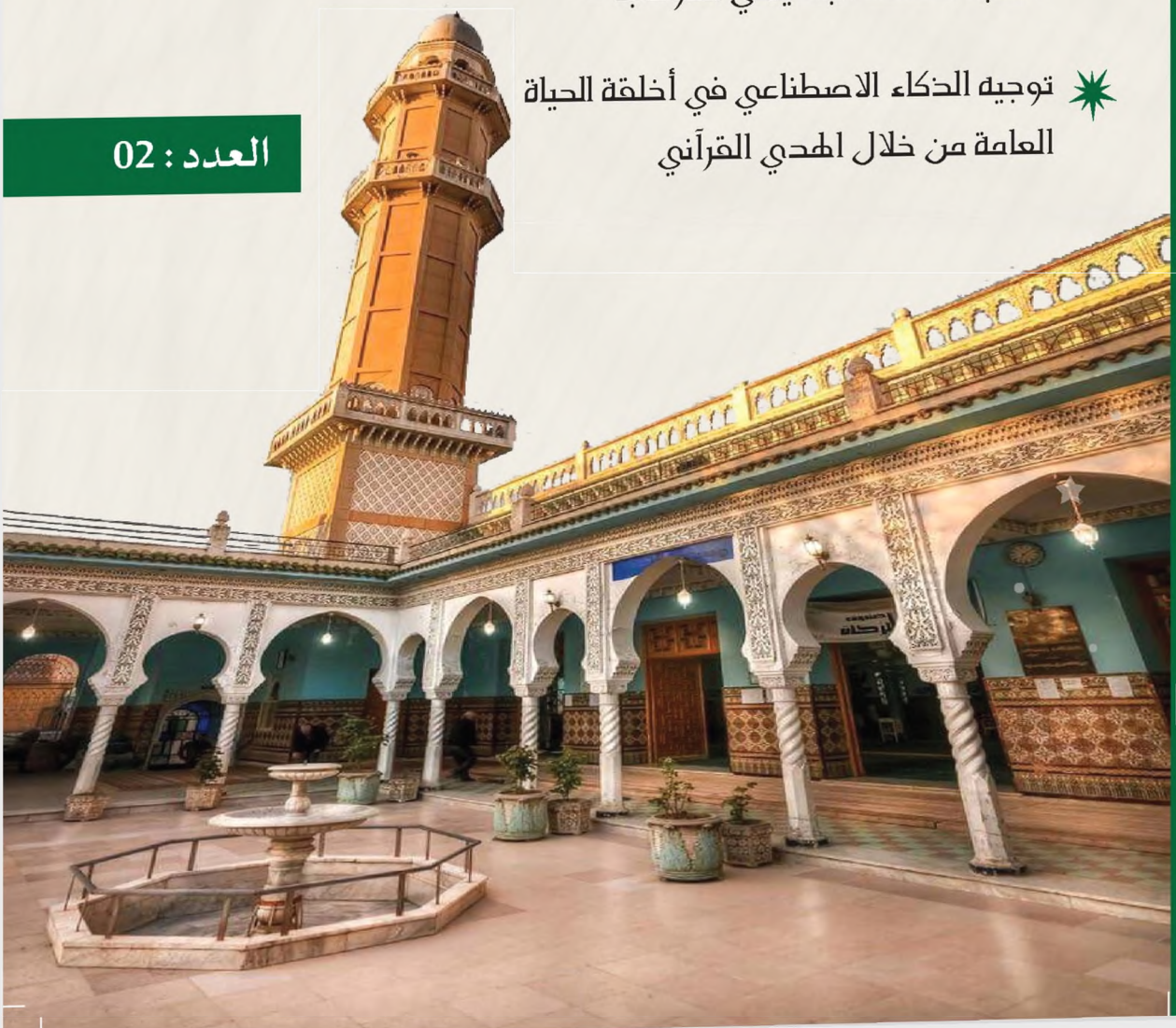

رسالة المسجد

مجلة محكمة تصدرعن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

الدكتور يوسف بلمهدي
وزير الشؤون الدينية والأوقاف

المدير العام مسؤول النشر

مستشار المدير العام: **الأستاذ مراد معيزة** / المدير العام للتوجيه الديني والثقافة الإسلامية

مستشار المدير العام : **الأستاذ زهير بوذراع** / المدير العام للإدارة والتكوين والتنظيم

رئيس التحرير: **الدكتور محمد سايب**/المكلف بتسيير مديرية التوجيه الديني وإدارة المساجد

مساعد رئيس التحرير المكلف بالترتيبات الفنية : **الدكتور بلال سعيدان**/ المدير الفرعي لتحسين المستوى وتجديد المعلومات

هيئة التحرير

- أ . د. **نور الدين عباسي**، باحث جامعي، جامعة الجزائر 1.
- أ . د. **عبد الرحمان سنوسي**، باحث جامعي جامعة الجزائر 1
- أ . د. **موسى إسماعيل**، رئيس المجلس العلمي لجامع الجزائر.
- أ . د. **مصطفى باجو**، باحث جامعي، جامعة غرداية.
- أ . د. **سليمان ولد خسال**، باحث جامعي جامعة الجزائر 1
- أ .د، **سمير جاب الله**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف.
- د . **عمر بافولولو**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف.
- د . **نصر الدين وراش**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف
- أ . **سميرة مخالدي**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

المحتويات

■ **الافتتاحية**

كلمة العدد بمناسبة انطلاق فعاليات الأسبوع الوطني للقرآن الكريم المنعقد بولاية تلمسان	د. يوسف بلمهدي وزير الشؤون الدينية والأوقاف	3

■ **ملف العدد**

الأخلاق وضبط العلاقات الاجتماعية	د. حسان بوسرسوب أستاذ علم الاجتماع، جامعة لونيسي علي، البليدة 2	11
القرآن الكريم وأخلقه الحياة السياسية	د. نزاي إسماعيل كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر1	37
توجيه الذكاء الاصطناعي في أخلقة الحياة العامة من خلال الهدي القرآني	المهندس: محمد الأمين بونمرة الديوان الوطني للحج والعمرة	60

■ **دراسات**

شواهد الاستماتة في استرجاع السيادة الوطنية المستلبة طلبة المعهد الباديسي أنموذجا.	د/حمزة بوروبة إمام خطيب أول، المسجد العتيق تازولت، باتنة	72
دور الوقف في التعارف والتعايش بين الأمم والحضارات	الأستاذ العارف محمد أمين بجامعة وهران 1 «أحمد بن بلة»	88

■ **خطبة العدد**

خطبة الجمعة بمناسبة مظاهرات 11ديسمبر1960	د. قويدر مشاعلة. أمين المجلس العلمي لمديرية الشؤون الدينية والأوقاف ولاية عنابة	125

إن الجزائر التي تستعد للاحتفاء بالذكرى السبعين لانطلاق الثورة التحريرية المباركة لتستعيد ذكرى أمجاد الشهداء الذين خلدهم الله سبحانه وعزوجل؛ فهم أحياء عند ربهم يرزقون، هي مناسبة كريمة؛ لتجديد العهد لهم؛ بخدمة القرآن وأهل القرآن، وأنتم هنا خير شاهد وخير دليل.

إن أبناءنا الذين ينجحون ويتفوقون كل سنة، ممن نرشحهم وترشحونهم أنتم شيوخ الزوايا ومعلمو المدارس القرآنية وأئمة المساجد، ترشحونهم إلى مختلف المسابقات القرآنية المحلية والوطنية والدولية، تجسدون بذلك جهود الأسرة الجزائرية، وجهود المجتمع، وجهود الدولة في تعظيم شعائر الله ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿32﴾ ﴾ سورة الحج.

لقد ذكر السيد الوالي المحترم جانبا من عناية الجزائر وقائدها ورئيسها بالقرآن الكريم؛ وقد ضرب لذلك أمثلة لا أريد أن أعود إليها؛ فأنتم أخبر الناس بها وأدرك الناس لهذه الحقيقة؛ فالمدارس القرآنية وكل هياكل خدمة كتاب الله تعالى، بل والقائمين عليها من أساتذة ومعلمين وشيوخا وأئمة إقراء يقومون على تحفيظ الناشئة بتنافس شريف ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿26﴾ ﴾ سورة المطففين؛ لكي ينالوا وسام رسول الله « **خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» رواه البخاري.

هنيئا للجزائر أمة القرآن وأرض القرآن التي ازدانت هذه الأيام في رحابه بهذه الحلة القرآنية بمشاركة ستين (60) مشاركاً من مختلف الفئات والأعمار، ولقد رأيتم أمًّا من الأمهات تتلو عليكم القرآن غضًا طريًا؛ ففئة الأميات لم يقرأن ولم يسعفهن الحظ إبان الاستدمار أن يتعلمن، ولكنهن بعزيمة فاطمة نسومر استطعن أن يحفظن القرآن، وأن يجوّدنه ويرتلنه ترتيلاً طيباً مباركاً؛ لأجل ذلك استحدثنا لهن فرعاً في المسابقة، وافقت عليه الحكومة وصدر مرسومها؛ فبلغنا بذلك في جائزة الجزائر بهذه المسابقات ستة فروع بحمد الله تعالى.

هنيئا لنا **أيها الإخوة الكرام**، ستون مشاركاً من مختلف الأعمارومن مختلف الولايات، ويشارك لأول مرة ممثل واحد عن جاليتنا بالخارج في فرع صغار الحفظة وهو تطور ملحوظ كل سنة؛ حتى نتكفل بأبنائنا في المهجر أيضا، رعاية وصيانة وحماية.

إننا نستقبل خمسمائة ألف (500000) طالب وطالبة، من بينهم حوالي خمسة آلاف (5000) من أبنائنا في الجالية بالمدرسة القرآنية الصيفية كل سنة.

أيها الجمع المبارك الكريم: لا يُنكرُ الدورُ الريادِيُ لأهل القرآن في تعليم كتاب الله، ومساهمتهم في مختلف المجالات مع بقية الفاعلين في المجتمع في هذا المجال لأخلقة المجتمع؛ ولذلك دعونا في ملتقانا اليوم هيئات كثيرة ومشاركين كثر؛ من الدرك الوطني، ومن الأمن الوطني، ومن وزارة العدل، ومن وزارة التربية، ومن وزارة الثقافة، ومن الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، ومن الجامعة، ومن الخبراء، ومن المسجد طبعاً والأئمة أصبحوا اليوم دكاترة بحمد الله تعالى.

دعوناهم لكي يشاركونا هذه المباحث، ونأخذ رؤيةً نوزعها على شيوخنا الأئمة؛ لكي نسهم فعلاً في أخلقة المجتمع.

إن هذا العمل الذي تقومون به يسهم في حفظ أمن بلدنا واستقراره، ويسهم في تفويت الفرصة على كل متربص أثيم ببلادنا. وإن الجزائر الجديدة التي أخذت عهدا على نفسها بمحاربة الفساد بكل أشكاله وألوانه؛ حيث وضعت لذلك كل الآليات السياسية والقانونية والتشريعية لأخلقة الحياة العامة؛ تحقيقاً للعدالة وسيادة القانون، مما أشاع الثقة والطمأنينة في المجتمع؛ فوثق المواطن في أجهزة الدولة ومؤسساتها.

هذا وإن دائرتنا الوزارية لتعمل جاهدةً لتجسيد التزامات الدولة في خدمة القرآن الكريم، متظافرةً مع كل القطاعات الأخرى، ويسهم في ذلك كل المؤطرين والهياكل والمناهج والبرامج.. مع تطويرها دوماً في قطاعنا الذي نشرف بتسييره، ومرافقة هذه الإنجازات المباركة في بلادنا؛ لكي تتخرج قوافل من القراء والحفظة الذين أثبتوا جدارتهم؛ بتتويجهم في المحافل الوطنية والدولية.

الشكر الجزيل للسيد الوالي الذي خص المؤلف الإمام بجائزة تحفيزية، والثناء الأثيل للسيد الوالي الذي لا يألوا جهداً في خدمة كتاب الله تعالى، ونحيي من خلاله كلَّ ساكنة الولاية والسلطات المحلية لهذه الولاية.

دعوني أفتح قوساً هنا فنحن لا نحتفل بالمولد النبوي الشريف لذكر سيرته ﷺ فقط، وذكر مدائح ترقى بالخلق الإنساني، وترقى بالخلق المجتمعي، وترقى بمستوى أداء الناس في حياتهم؛ من أجل أخلقة المجتمع، ولكننا نحتفلُ بالمولد النبوي الشريف في مساجدنا أيضا بتكريم ما يزيد عن أربعة وأربعين ألف (44000) متسابق ومتسابقة هذه السنة؛ فلقد أحصينا أربعةً وأربعين ألف (44000) مُكرم في مساجد جمهورية، هذا شيء كبيريا جماعة، ومن هؤلاء الأربعة والأربعين ألف أربعة وثلاثون ألفا (34000) في تخصص القرآن فقط، وفي الحديث والفقه وفي أشياء أخرى عشرة آلاف (10000)، ومنهم سبعة آلاف ومئتان وأربعون (7240) حافظ للقرآن كاملاً.

هذا جهدكم، ولكنه جهد ترافقه وتوافقه وتطابقه سياسة الدولة الجزائرية، ومن هذا السبع آلاف ومتين وأربعين أكثر من ثلاثة آلاف (3000) يحفظونه كاملاً بالتجويد؛ خزان للتراويح، خزان للمسابقات، خزان للجزائر المُنتصرة بحمد الله سبحانه وتعالى.

إن تربية الأجيال على حب القرآن وحفظه والتمسك بمبادئه وقيمه يُعتبر عروةً وثقى نستمسك بها؛ لأنها أصالتنا وتاريخنا وحضارتنا، وهو أيضاً وسيلة مُستقبلية نواجه بها الأزمات القادمة والمعاصرة التي تخنق المجتمع الإنساني في كل مجال، وإن الإسهام في هذه المبادئ التي يصونها ويحفظها القرآن الكريم تسهم في إشاعة الفضيلة، وتعيننا على أن ندفع بعضنا بعضاً إلى السهر بالتعبئة النوعية إعلامية وتعليمية ودينية؛ حتى نرسخ هذا المبدأ في العقول والقلوب؛ لنحقق أمنها الاجتماعي؛ فالمجتمع يحتاج إلى أمن اجتماعي، ومن ثم تعزيز أمننا الفكري وحماية وحدتنا ومرجعيتنا الدينية الوطنية بخطاب وسطي معتدل يبعث السكينة ويهدئ النفوس وينير العقول ويهدي إلى سواء السبيل ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا

فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿105﴾ سورة التوبة .

نحن على يقين أنَّ أسرة المساجد وأهلها ورواداها ومُعلمي ومُتعلمي القرآن الكريم سيُسهمون بقوة للنُّهوض بالجزائر المُنتصرة، وإنَّ الجزائر تنتصر ولا تنكسر، إنَّ الجزائر تنتصر ولا تنكسر بحمد الله تعالى؛ تنتصر بمؤسساتها، تنتصر بأبنائها، تنتصر بوحدتها ومبادئها الخالدة، تنتصر برؤية جديدة يقودها السيد رئيس الجمهورية عبد المجيد تبون، ويشد عضدَه المخلصون من أبناء وطننا المفدى في هذه العهدة، فلنُعِد العُدة ولا نترك البلد وحده، يُحقِّقُ هذا النصر شعبُها الأبي وجيشُها القوي سليلُ جيشِ التحرير الوطني؛ وفاءً لتضحيات شهدائنا الأبرار.

المجدُ والخلودُ لهم؛ ووفاءً وعهدًا لأبنائها المُجاهدين الأخيار، العزة والكرامة لهم.

في الختام أعلنُ رسمياً عن انطلاق فعاليات الأسبوع الوطني للقرآن الكريم في طبعته السادسة والعشرين (26)، وعن هذا اللقاء الذي يؤطره نخبة من العلماء والأساتذة المحاضرين ذوي التبريز، والخبرة والتميز. برعاية سامية لرئيس الجمهورية **السيد عبد المجيد تبون.**

كلمة الدكتور يوسف بلمهدي وزير الشؤون الدينية والأوقاف

بمناسبة انطلاق فعاليات الأسبوع الوطني للقرآن الكريم

المنعقد بولاية تلمسان

أيام 26، 27، 28 ربيع الأول 1446 هـ

الموافق 30 سبتمبر، 01، 02 أكتوبر 2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا وقدوتنا وسندنا وملاذنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم الدين، ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (98)﴾ المؤمنون.

إنه وفي رحاب هذا الوطن المفدَّى، وفي مدينة تلمسان المجاهدة، مدينة العلماء والأولياء، مدينة المساجد والمعاهد التي سماها سيدي ابن خلدون بالمعاهد الكريمة، وهي حاضرة من حواضر العالم الإسلامي العامرة بالمدارس القرآنية والزوايا؛ فسخاؤها لا ينفد ولا يتوقف، مدارس شيدت جمالاً وألقا، معاهد بنيت كمالاً ورونقا، حتى قال المقري في وصف بعضها؛ كالمدرسة التشفينية (مثلا): «**إنها عجيبة من عجائب الدنيا**»، قل ذلك في اليعقوبية، وفي مدرسة ولديْ الإمام التَّنسي.

لقد أغاضت هذه المدارس والمعاهد المستدمر وزادته حنقًا، فدمَّرها وجعلها نهبًا وسلبًا، فما أحقره خائنا وخبًّا، ولو أن منادي الحضارة نادى إنكم لسارقون، لشهدت متاحف فرنسا بما كانوا يصنعون.

هذا وإننا نحيا على عبق صاحب الذكرى محمد ﷺ، الذي علمنا الأخلاق الفاضلة، علمنا أن نستمع لمحدثنا بآذان صاغية وقلوب مفتوحة، علمنا خلق التواضع؛ علمنا الأخلاق الكريمة فقال فيه الحق سبحانه وتعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿159﴾ ﴾ سورة آل عمران.

علمنا حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم خفض الجناح للمؤمنين، علمنا رسول الله ﷺ العلوم الكثيرة، والخصال النبيلة، وهو الممدوح في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿4﴾ ﴾ سورة القلم.

ونحن نلتقي لنتحدث عن القرآن وأخلقة الحياة العامة، نحيا أيها الإخوة الكرام على عبق ذكرى مولده صلى الله عليه وسلم، ونستعد للاحتفالات الخالدة لذكرى ثورة التحرير المجيدة في ذكراها السبعين، ونسعد في هذا المقام السني الزكي بإقامة فعاليات الأسبوع الوطني للقرآن الكريم في طبعته السادسة والعشرين، والذي نال بحمد الله تعالى رعاية كريمة سامية من **رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون** (حفظه الله ورعاه)؛ احتفاءً بأهل القرآن، واحتفالاً بأهل الذكر الذين أجلَّهم مجتمعُنا الجزائري، فكلكم سادة؛ فعن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول: « المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة». (رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون)، فأنتم قادتنا وأنتم سادتنا أجلَّكم الله تعالى، فأجلَّكم المجتمع، وأجلَّتكم الدولة، وقد اعترف لكم راعي البلاد وقائدها (موفقاً بحمد الله في عهدته القادمة) بأن خصَّكم بيوم لا مثيل له في عالمنا العربي والإسلامي (شرقاً وغرباً)، فنلتم الدرجات السنية؛ لأنكم تحفظون المقام الروحي لهذه الأمة، ولعمري إنها لمنزلة مباركة ودرجة عاليه، أن يلتئم هذا الحفل المبارك نخبة من العلماءِ وشيوخِ الزوايا وأساتذةِ الجامعة (ونترحم بالمناسبة على أحد عمداء الجامعة في مغنية الذي توفي مؤخرا

رحمه الله تعالى برحمته الواسعة)، وبناتِنا وأبنائِنا من حفظة كتاب الله تعالى؛ لكي نتدارس القرآن الكريم، ونأخذ من هديه الكريم، ومنهجه القويم في أخلقة الحياة العامة؛ ومصطلح أخلقة الحياة العامة جاء في خطابات السيد الرئيس الجمهورية منذ أن استلم قيادة هذا الوطن العزيز، ونحن نندمج وننخرط في هذه الرؤية المستبصرة، وموضوع الأخلاق يشغل الناس جميعاً (أفراداً وأسراً ومجتمعات) خاصةً في زماننا هذا، وقد أولى القرآنُ الكريمُ هذا الموضوعَ عنايةً عظيمة، وما أفقرنا إذا افتقد هذا الخلق؛ خلق القرآن وخلق رسول الإسلام، فلا يجوز فقدهُ بين أهل الذكر والفكر والشكر والصبر، بل ينبغي أن يكونوا أئمة في أخلاقهم كما هم أئمة في المحراب، أئمة في هديهم، أئمة مثل ما كان سيد الخلق يوصف بأنه كان قرآنا يمشي، فليست العبرة بكثرة القيل والقال ولا بكثرة السؤال ولا بإضاعة المال، فهل من مذكر؟

إن الله عزوجل عندما أثنى على نبيه ومدحه أعظم المدح لم يمدحه (وهو المستأهل لكل مدح) في كل شأن ومن كل جهة؛ فهو البحر الخضم من أي الجهات أتيته أمدك بالجواهر واللآلئ والمرجان، وهو البدر التيم من كل جهة رأيته؛ رأيت الجمال والكمال والجلال.

أسمعوني صلاتكم وسلامكم على حبيبنا محمد ﷺ، صلاة يشهد الله أننا نطيب بها أنفاسنا ونزكي بها أنفسنا وننتدي بها مجلسنا عسى أن نكون معه؛ لأن القرآن يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿21﴾ ﴾ سورة الأحزاب.

نحن نرجو الله، نحن نريد الله، نحن نقصد باب الله، ولا يمكن الوصول إليه إلا من خلال هذا الاتباع بعيدا عن كل الشارات والزعامات، وما وصل إليه الإنسان في الحياة فإننا لن نطأ موضع الجنة إلا بهذا الذي تركه النبي ﷺ فينا، وهو الذي كان يقول: « **إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا** ». (رواه الترمذي وقال حديث حسن).

فبالخلق الحسن تُسامي يمينا أو شمالا رسول الإسلام محمد ﷺ وبدون أخلاق فأنت أبعد الناس عنه صلى الله عليه وسلم.

قال الشاعر أحمد شوقي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

كفى بحسن الخلق شرفاً وفضلاً، ولست هنا لكي أعرض لكم فضل الأخلاق؛ وهي منظومة متكاملة في كل المجالات؛ حتى كتب الشيخ محمد عبد الله دراز أحد علماء الإسلام (عليه رحمة الله) كتاباً سماه «دستور الأخلاق الإسلامية»؛ فهو دستور بمعنى الكلمة.

لقد رسم القرآن الكريم مناهج تحقق التوازن الأخلاقي في المجتمعات؛ مما يجعل الفرد صالحا في نفسه، مصلحا لمجتمعه؛ فلا يكفي أن يكون مصلحا لمجتمعه وليس صالحا في نفسه؛ والصلاح ليست دعوة ترفع؛ إنما هو إيمان وعمل « **قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِم**» رواه مسلم.

قال الإمام البوصيري:

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

إن هذا المنهج قادر على مواجهة التحديات التي تسعى إلى إلغاء الخصوصيات والهويات والشخصيات في العالم المفتوح، وقد واجه هذه الأفكار وأمثالها الأئمة العلماء والشيوخ المصلحون، وهي رسالة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم تمثلها أئمة الجزائر (بحمد الله تعالى) وأذكر أبا مدين الغوث الذي يرقد في هذه المدينة المباركة، وهو سيدنا وقدوتنا في هذا المجال (جهاداً وعملاً وعلما)، والشيخ السنوسي (عليه رحمة الله)؛ فقد تركوا آثاراً جليلة، وقد تحدث الناس بفضلهم؛ لأنهم تمثلوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فأئمة الجزائر اليوم الذين تعمر بهم مساجد الجمهورية يعملون على وحدة الجزائر واستقرارها وأمنها، وصد كل محاولات ضرب هويتها؛ إنها معركة لا تقلُّ - إخواني - عن معركة تحرير الأوطان؛ فحماية هويتنا وثقافتنا جهاد مقدس، وهي أولوية من أولويات الجزائر الجديدة.

الأخلاق وضبط العلاقات الاجتماعية

بقلم : د. حسان بوسرسوب،
أستاذ علم الاجتماع،
جامعة لونيسي علي، البليدة02

ملخص

إنّ الواقع الاجتماعي الراهن الذي تعيشه المجتمعات العربية عامة، والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص، يبين لنا أنّ هناك وقوع تغيرات سريعة في منظومة القيم الاجتماعية؛ لذلك أضحت المراهنة على منظومة قيمية من المنظور القرآني، مسألةً ملحةً وضروريةً وفي أمس الحاجة، ذلك لأنّ ضبط العلاقات الاجتماعية رهين بصلاح أفراده، ورقي المجتمع رهين برقي أخلاقهم وتبعا لذلك؛ تعد الأخلاق طريقا لضبط العلاقات الاجتماعية ونهضة الأمم، ومن الأسس الهامة في تلاحم الأفراد والمجتمعات فيما بينها، حيث يعتبر تعزيزها في واقع المجتمع البشري، الأداة الممكنة والمثلى لتكوين الأجيال الصالحة، وصياغة شخصية إيجابية مؤثرة في المجتمع.لذلك كان واجبا أن تتجه الاهتمامات نحو الأخلاق الإسلامية وتنْصبّ الدراسات صوب طرق غرسها في أفراد المجتمع، فهي أساس الوحدة والقوة والتضامن والتكافل، وقد لجأ الباحث إلى استخدام المنهج الوصفي، ونتيجة لما سبق نسعى من خلال هذا البحث إلى دراسة وصفية تحليلية ومن هذا المنطلق؛ يمكننا أن نتساءل عمّا مدى مساهمة الأخلاق في ضبط العلاقات الاجتماعية بالمجتمع الجزائري ؟

الكلمات المفتاحية: الدور، القيم، الأخلاق، الضبط، العلاقات الاجتماعية.

المقدمة

بداية القرن العشرين، كانت الضوابط الاجتماعية صارمة وحازمة ومرعبة وشديدة تعكس المرحلة التقليدية المحافظة التي كانت تعيشها المجتمعات

البشرية في ذلك الوقت. ومع ازدياد عدد سكان المدن الناتج عن الهجرة إلى المدن، ظهرت مشاكل اجتماعية خانقة كالجريمة المنظمة وجنوح الأحداث والتفكك الأسري، فتحولت العقوبات من كونها قمعية ورادعة إلى علاجية وإصلاحية وتنسيقية، خاصة مع تعدد أنواع المشاكل الاجتماعية في المجتمعات الحديثة التي أصبحت تثقل كاهل أجهزة الدولة .

ونظراً لتطور السياسات الاجتماعية الإصلاحية وفي ظل هذه الظروف، برزت الحاجة إلى ضوابط اجتماعية مرنة تهدف إلى الارتقاء بالإنسان الحديث إلى مستوى التحضر بدلاً من بتره، وتحسين علاقته مع دولته بدلاً من الدخول في صراعات تؤثر على الأمن والاستقرار الاجتماعي. ومن أهم هذه الإستراتيجيات الناجحة المنهج القرآني الذي يرتقي بالمؤمن في القيم الأخلاقية والاجتماعية، ويهدف إلى تزكية النفس أخلاقياً، وبالتالي العمل على تقوية علاقات المجتمع واستقراره.

ومما لا شك فيه أن التراخي في ضبط العلاقات الاجتماعية يمكن أن يسبب نوعاً من الاضطراب الأمني والاجتماعي والاقتصادي في المجتمع.

الإشكالية

إنّ اهتمام الإسلام بالقيم الفاضلة من أهم العوامل التي ساعدت على حماية الأمة العربية من التدهور والانحطاط الأخلاقي الذي عانت منه الأمم الأخرى في الماضي والحاضر، فالقيم الأخلاقية لها أثر كبير في معظم مجالات الحياة، والقيم توثق النظم الاجتماعية للأمم. ومن الملاحظ أنّ المجتمع العالمي والعربي والإسلامي يعاني من اختلال البنية المعيارية للقيم، ومن هنا تبرز أهمية البحث في القيم الأخلاقية الإسلامية في الوقت الذي تسعى فيه كل المجتمعات لتأكيد شخصيتها، وهو ما نسعى إليه من خلال التعرف على منظومة القيم الأخلاقية في القرآن الكريم واستخراج وإبراز دور القيمة الأخلاقية في القرآن. ثم يجد الفرد نفسه بعد ذلك في وضع يعاني

فيه من نقص في تأكيد الذات والهوية الثقافية.

ونرى أنه من الضروري الحديث عن العلاقات الاجتماعية، لأنّها جانب مهم من جوانب المجتمع، وضبط العلاقات الاجتماعية مهم لأنّه يشبع الحاجات الاجتماعية للأفراد ولأن الفرد اجتماعي بطبعه ولا بد أن يعيش ضمن جماعات ولا يستطيع أن يعيش وحده في عزلة، لأن له مجموعة من الحاجات التي يجب إشباعها كالحاجة إلى الأمن والتعاون لتحقيق الاعتماد المتبادل والعمل من أجلها في الجماعة، وهو ما يحتاجه الفرد.

ومن هذا المنطلق جاءت إشكالية الدراسة كما يلي: **هل يمكن للأخلاق أن تساهم في تشكل وضبط العلاقات الاجتماعية؟ وما مدى فاعلية القيم الأخلاقية في ضبطها للعلاقات الاجتماعية في المجتمع الجزائري؟**

أهداف الدراسة: تحاول الدراسة الحالية تحقيق الأهداف التالية:

- تبين مفهوم الأخلاق ومفهوم ضبط العلاقات الاجتماعية.

- التعرف على الأخلاق ومنزلتها في الإسلام وعلاقتها بالوضع الذي وصل إليه المجتمع المسلم.

- إبراز المعالم الرئيسية لطبيعة العلاقة بين القيم الأخلاقية وضبط العلاقات الاجتماعية.

- الوقوف على أبرز مؤشرات المضامين القيمية الأخلاقية للضبط الاجتماعي في سلوك أفراد المجتمع.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

- الإضافة العلمية للمكتبة البحثية في مجال ربطها بين القيم الإسلامية والضبط الاجتماعي.

- تسليط الضوء على أهم مظاهر السلوكيات الغير مرغوب فيها والتي أصبحت جزء من تكوين شخصية الشباب المسلم بعد أن تباعدت أصول ومقومات الأخلاق الإسلامية.

- محاولة غرس المبادئ والأفكار التي تساعد الفرد على أن يدافع عن نفسه بإكسابه تصور واضح يمكنه من المواجهة على مستوى فكري وعقلي وعن إقناع مدعم بالدليل بدلا من اعتماده على العواطف الدينية.

- الكشف عن العلاج القرآني الذي استبدله المجتمع بغيره والتوعية بالقيم والمثل التي تميز بها الرعيل الأول من فضائل الأخلاق.

منهج الدراسة: حاول الباحث الاستعانة بالمنهج الوصفي في هذه الدراسة، وذلك لتناسب طبيعة هذا المنهج مع طبيعة الدراسة الحالية، حيث أنه يقوم بوصف الوضع الراهن وتحديد الظروف والعلاقات بين الوقائع، ولا يقتصر الوصف على جمع البيانات وتبويبها فقط بل يتضمن قدرا من التفسير لهذه البيانات.

خطة البحث: تضمنت خطة البحث من:

مقدمة، وإشكالية، وثلاثة مباحث، خاتمة وقائمة المراجع.

1. القيم الأخلاقية والاجتماعية في القرآن الكريم

1.1 مفهوم الأخلاق ومكانتها في الإسلام

إن الأخلاق في الإسلام ليست مبنية على نظريات فقهية أو مصالح فردية أو عوامل بيئية تتغير وتتطور تبعا لتغيرها وتطورها، وإنما هي فيض من ينبوع الإيمان يشع نوره في النفس وخارجها. إن الأخلاق لم تعد محل تقدير عند كثير من المسلمين بسبب التفكك الذي حدث، فالناظر لفضائل الصدق والأمانة، والرحمة، والعدل، والحياء، والتعاون والتكافل والإخلاص، والتواضع والوفاء بالعهد، والعفة، والكرم، وبر الوالدين، وصلة الرحم، ... وغيرها؛ يرى تغيّراً واضحاً؛ بل أضحت غريبة في وسط المجتمع المسلم، وحضورها في تعاملاتنا اليومية شبه معدوم إن لم نبالغ.

2.1 تحديد بعض المفاهيم والمصطلحات الأساسية:

1.2.1 مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحا:

أ. معنى الأخلاق في اللغة: قال الراغب الأصفهاني: الخَلقُ، والخُلْقُ والخُلُقُ في الأصل واحد لكن خُصَّ الخَلقُ بالهيئات والأشكال والصور المُدركة بالبَصر، وخُص الخُلُقُ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة." قال تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ (137)﴾ الشعراء، والخَلاقُ ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخُلُقِه قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ (200)﴾ البقرة، وفلان خليق بكذا: أي كأنه مخلوق فيه ذلك، كقولك مجبول على كذا، أو مدعو إليه من جهة الخَلْقِ وقيل الخَلاق: الدين، وقيل: القَوَامُ، وقيل: الخلاص، وقيل القَدْرُ. (الراغب، 1412هـ، ص297).

ب. معنى الأخلاق في الاصطلاح:

قدم العلماء تعريفات كثيرة للأخلاق، ولكن معظمهم اتفقوا على أنها مجموعة من المبادئ والقواعد التي تحكم السلوك الإنساني، ولكنهم اختلفوا في مسألة منشئها. فمنهم من أرجعها إلى دوافع طبيعية غريزية بحتة، ومنهم من أخضعها للقوانين والمبادئ والفرائض الاجتماعية، ومنهم من أرجعها إلى الدين، وذلك لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقاته مع الآخرين بما يحقق الغاية من وجوده في هذه الدنيا على الوجه الأكمل، ومن هذه التعريفات.

ج. يمكن تعريف الأخلاق بأنها مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه. عادة أو ميل من الميول يغلب على الإنسان باستمرار حتى يصير له عادة.

وقيل الخلق هو قوة راسخة في الإرادة تنزع إلى اختيار ما هو خير وصلاح. إن كان الخلق حميداً (الزحيلي، 1579، ص130).

والأخلاق في الإسلام عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة

الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل والأتم، والأخلاق تنقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين: **أخلاق فطرية، وأخلاق مكتسبة.** فبعض أخلاق الناس أخلاق فطرية، تظهر فيهم منذ بداية نشأتهم، وبعض أخلاقهم مكتسب من البيئة، ومن تتابع الخبرات والتجارب وكثرتها ونحو ذلك.

والأخلاق الفطرية قابلة للتنمية والتوجيه والتعديل؛ لأنَّ وجود الأخلاق الفطرية يدل على وجود الاستعداد الفطري لتنميتها بالتدريب والتعليم وتكرار الخبرات والاستعداد الفطري لتقويمها وتعديلها وتهذيبها. وهذه الأخلاق في جملتها إما محمودة أو مذمومة: وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفطرة البشر، وطريقة التعامل معها تحدد المصير.

2.2.1 مفهوم الدور لغةً واصطلاحًا:

لغة: دور مصدر دار الدور الاجتماعي السّلوك المتوضح من الفرد في الجماعة أو النمط الثقافي المصدر السلوك الفرد الذي يشغل مكانة معينة. (المعجم الوسيط، 2004، ص1).

أمّا **اصطلاحًا** فيقول لنتون (Linton) الجانب الدينامي لمركز الفرد، أووضعه، أو مكانته من الجماعة، أمّا رويتر فيقول إنه وظيفة الفرد في الجماعة، أو الدور الذي يؤدّيه في جماعته، أو موقف اجتماعي. (زهران، 1974، ص130).

3.2.1 مفهوم الضبط: يعني لزوم الشيء وحبسه، ضبط عليه وضبط الشيء حفظه بالحزم، والرجل ضابط أي حازم ضابط أي قوي شديد. أي أصلح خلله أو صححه وشكله. (شروخ، 2004، ص99). ويمكن تعريف ضبط العلاقات الاجتماعية، بأنها مجموعة القواعد التي بها يمتثل الأفراد لمعايير الجماعة أو المجتمع الذي ينتمون إليه.

4.2.1 مفهوم ضبط العلاقات الاجتماعية: يُعتبر ضبط العلاقات الاجتماعية عنصرًا حيويًا للحفاظ على النظام الاجتماعي وتعزيز التفاهم والتعاون بين الأفراد والجماعات. وهو

مفهوم يُشير إلى الأساليب والآليات التي تستخدمها المجتمعات لتنظيم وتوجيه سلوك الأفراد وتفاعلهم فيما بينهم. يهدف هذا الضبط إلى تحقيق التوازن والاستقرار الاجتماعي، ويشمل مجموعة من المعايير والقواعد والقيم التي تحدد كيفية تصرف الأفراد في سياقات اجتماعية مختلفة.

2. القيم الأخلاقية والاجتماعية في منظور القرآن الكريم

تاريخ الحضارة الإنسانية مليء بالمدونات الأخلاقية والمعايير الاجتماعية المتباينة، لكن الدراسات الحديثة كشفت عن تقارب كبير بين هذه الشرائع، ثم جاء الإسلام ليكملها، ويتبع مسارها، ويهذب بعضها، بعد أن كانت متفرقة ومشتتة ومهملة بين الأمم والحضارات، وهذا يؤكد أنّ الأخلاق كانت متبعة بين قبائل قريش، وأن النبي ﷺ جاء لتجميلها وإظهار فضائلها، سواء كانت دنيوية أو أخروية. ويؤكد أن «التشريع الإسلامي جاء كتشريع كامل وشامل لجميع جوانب الحياة الدنيوية والأخروية، وأنه أكمل ما كان ينقص الرسالات السابقة، مثل طغيان المادية في اليهودية، وطغيان الروحانية في المسيحية، والتوازن بين الجانبين في الاعتدال والوسطية في الإسلام». (صبح، د.ت، ص266).

وقد اقتضت حكمة الله نظامًا اجتماعيًا كاملاً يشمل جميع جوانب الإنسانية: الروحية، المادية، العاطفية، العقلية، والأخلاقية، حتى تتكشف الحياة بأفضل طريقة ممكنة. يتولى الرجل مسؤولية أمانة الخلافة التي أُوكلت إليه، ويقوم بالعمل الحضاري، ويبرز الشهادة الحضارية لهذه الأمة بالنسبة للأمم الأخرى. لا يمكن تحقيق مهمة البناء إلا من خلال التعاون بين جميع الناس. لهذا السبب جعل الله النفس البشرية تميل إلى التجمع. الإنسان، بسبب هذا الميل، لا يمكنه أن يعيش بمفرده ولا أن يقود حياة منفصلة عن المجتمع البشري الذي يعيش فيه. على العكس من ذلك، يسعى باستمرار للاندماج في حياة مجتمعه، وإقامة

علاقات متنوعة مع أعضائه ومجموعاته، والتفاعل مع حياة وثقافة مجتمعه، والتعاون مع أعضائه لكسب لقمة العيش (التومي،1987، ص165 - 166).

وإن نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام كما بينه الطاهر بن عاشور، تتعاون فيه كل القوى بحيث لا يطغى فريق على فريق، وتبذل فيه النصيحة عامة لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم، ويتم الائتلاف بين الحقوق والواجبات وبين مصالح الناس بعضهم مع بعض، وتتآلف الأرواح وتتجاذب الأشباح، وإن المسلمين في كل زمان ومكان قد أجمعوا على التعاون والتكافل، والتعاون الكامل في جميع شؤون الحياة وفي حالتي الرخاء والشدة. فلا جرم إن كان إصلاح المجتمع متوقفا بادئ الأمر على إصلاح الأفراد، فإذا صلحت حصل من مجموعتها الصالحة مجتمع يسوده الصلاح، وتلك هي أسباب صلاح نواحي الهيئة الاجتماعية في أحوال علاقات أفرادها ببعض. لتكون أمة واحدة تجمعها وحدة الاعتقاد والتفكير والعمل الصالح. لذلك اتجه كتاب الله بجملة من الأوامر والنواهي ذات الصبغة الأخلاقية إلى مختلف الأفراد، سعياً منه في إصلاح أخلاق الأفراد، وتحمل أمانة عمارة الأرض على نحو ما يقرره المنهج الإلهي، "وهذه الأوامر والنواهي تتعلق بالكليات الضرورية التي تتوقف حياة المجتمع الإسلامي عليها كل التوقف، بأحكام أخلاقية زجرية على شكل أوامر ونواه، الأخلاق الإسلامية تقوم على مجموعة من الأوامر والنواهي التي تتضمنها الشريعة الإسلامية. (وديع واصف،2000، ص303).

وجاء القرآن الكريم متوافقًا ومنسجمًا مع الفطرة البشرية التي خلقها الله، موازنًا بين متطلبات النفس والجسد، موضحًا الخير وكل الأعمال الصالحة التي تؤدي إليه، ومحرمًا الشر وكل الأعمال التي تؤدي إليه. وبذلك يأخذ في الاعتبار مصلحة الفرد بطريقة متناغمة وكاملة مع مصلحة المجتمع. يعبر

ابن حزم عن هذا بقوله: «كما أنه مصدر للقوانين الدينية، فهو مصدر للأخلاق النبيلة، لأنه يوضح الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والطرق التي تؤدي إلى كل منهما، بينما يكشف عن العواقب التي تترتب على ذلك.»

1.2 أهمية الأخلاق في حياة المجتمع

فهم العلماء المسلمون عبر العصور أهمية الأخلاق ودورها في بناء الأمم والحضارات. لقد خصصوا لها أعمالًا ورسائل، ولا تخلو أي من كتاباتهم من الإشارة إلى الأخلاق، وتذكير بأهميتها، والحث على الالتزام بها. لأنها «الركيزة الأساسية لبناء مجتمع متماسك ومستقر، وازدهار أو انحطاط أي مجتمع مرتبط بفضيلة أو فساد الأخلاق.» تعمل العادات أيضًا ك «منظم اجتماعي له تأثير قوي على سلوك الأفراد، والتماسك الاجتماعي، والاستقرار.» ولا يمكن لأي مجتمع أن يزدهر بأفراد متفهمين ومتعاونين وسعداء ما لم يكونوا مرتبطين بروابط قوية من الأخلاق الحميدة. الفضائل الأخلاقية ضرورة اجتماعية، وعندما تُفقد الأخلاق، التي هي الوسيلة الأساسية للتناغم بين الإنسان وأخيه الإنسان، يتفكك أعضاء المجتمع، ويتشاجرون ويتقاتلون، مما يؤدي بهم إلى الانهيار والدمار. لا شك أن العدد الكبير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حول موضوع الأخلاق يشهد على أهميتها. تحظى الأخلاق بمكانة عالية وموقع بارز في القانون الإسلامي. لقد أظهر التاريخ أن ازدهار أو انهيار أي مجتمع مرتبط بفضيلة أو فساد أخلاقه. لقد شهد القرآن الكريم أن فقدان القيم الاجتماعية، واختفاء القيم الفاضلة، وانتشار الرذيلة كانت سببًا في تدمير الحضارات السابقة. وهكذا يتجلى أهمية العنصر الأخلاقي في تأثيره على السلوك الاجتماعي، حيث يعتمد ازدهار المجتمع على فضيلة الفرد، وفساده بنفس الطريقة وهكذا، نجد أن العنصر الأخلاقي في المنهج القرآني هو حجر الزاوية في جميع السلوكيات البشرية.

إذا عدنا إلى الأوامر والنواهي في القرآن الكريم، نجد أن الإيمان والعقيدة لا يتحققان إلا من خلال ممارستهما، ويعتبران أوامر صادرة من الله تعالى. الأوامر الصادرة من الله تعالى تتطلب الطاعة للمبادئ الأخلاقية، ليس لأنها تبدو كمبادئ أخلاقية، ولكن لأنها يجب أن تُطاع من قبل من يجب طاعته، لذلك كانت الإصلاحات الأخلاقية واحدة من الأسس لبناء حضارة تؤدي إلى الحضارة والتقدم. تمثل الأخلاق ذلك السلوك العملي الذي يحقق إنسانية الإنسان، والذي يجلب السعادة للناس في إطار من التعاون والتضامن، مما يسمح للمجتمع بالتمتع بقيم التضامن والدعم المتبادل، وهو ما يشجع الناس على الانخراط فيه. إذا فقدت الأخلاق، فإن مصالح العالم لا تتكشف بشكل صحيح بل بطريقة فاسدة، ويعاني الناس من الصعوبات والإحراجات، لذلك، فإن الأخلاق هي أساس بناء المجتمعات البشرية، سواء كانت إسلامية أوغيرإسلامية.

2.2 الأخلاق الاجتماعية في المنهج القرآني

تؤكد أهمية المنهج القرآني للجوانب الأخلاقية في أن الأخلاق هي ركيزة أساسية من ركائز الإسلام، فهي روح الرسالة الإسلامية، والنظام التشريعي الإسلامي هو تجسيد ملموس لها، وكل هذا يبرز أن «النظام الأخلاقي الإسلامي أوسع، وأكثر شمولاً، وأعمق جذوراً، وأكثر نفاذاً في الإنسان، وأنه أغنى وأكثر شمولاً من أي نظام أخلاقي إيجابي آخر، وأن الانخراط فيه يعني الأخلاق والدين والعبادة في نفس الوقت، وكل هذا يجلب الرضا والطمأنينة.» كما أنه يمثل الأسس الصلبة التي يرتكز عليها عملية الإصلاح في جميع المجالات، لهذا نجد أن الشريعة الإسلامية ألغت كل ما كان سيئًا في المجتمع الجاهلي واعتمدت منهج الإصلاح القرآني.

تجلت قيم هذه الطريقة بوضوح في المجتمعات المكية والمدنية، التي وصلت إلى ذروة لا مثيل لها من الكمال في قرنها

الأول، ولم تصل إليها أي مجتمع آخر، تحت ظله وتأثيره شهدت الأمة الهدوء والعدالة والاستقرار والسعادة. كما أن القرآن الكريم أصلح المجتمع الذي نزل فيه والمجتمعات المتجددة التي اتبعت تعاليمه، فإنه قادر على إصلاح المجتمعات المعاصرة، ومعالجة المشاكل المتجددة، وحل قضايا الحضارة الإنسانية. ستظل الطريقة القرآنية، عبر العصور والأجيال، العلاج لكل داء، والحل لكل مشكلة، والوقاية من كل ضلالة. (محمد السيد، 2004، ص20).

لقد أولى الإسلام أهمية كبيرة للأخلاق لأنها تشكل أساسًا أساسيًا لاستدامة الحياة الاجتماعية وتقدمها ماديًا وروحيًا. الإنسان بحاجة ماسة إلى نظام أخلاقي يلبي الاحتياجات الاجتماعية للمجتمع ويمنع تفككه وانهياره. لهذا السبب أصبح النظام الاجتماعي الإسلامي مرجعًا للحكم الأخلاقي لمنع الشهوات والرغبات والعادات والتقاليد من السيطرة، ومقياسًا لتقييم الأخلاق. لم يغفل النظام الاجتماعي الإسلامي الأخلاق، بل ميزها عن غيرها، وميز السلوك الأخلاقي عن أنواع السلوك البشري الأخرى. لم يشمل في شروط الأخلاق ما لا ينتمي إليها، وأقام حارسًا لتأنيبه وإعادته إلى العقل. هذه الحماية هي القرآن الكريم، الذي لا يعرف الخطأ ولا التناقض. لقد حدد القرآن الكريم الفضائل الأخلاقية وفوائدها، وكذلك الرذائل الأخلاقية وعيوبها، وأظهر الطريق للتخلص من الأخيرة واعتناق الأولى، مما يسمح للمرء بتحقيق النجاح من خلال تطهير النفس وتجنب الفشل من خلال فسادها، (زيدان، 2002، ص90).

3. العلاقات الاجتماعية المفهوم والأهمية ومكانتها

1.3 أهمية العلاقات الاجتماعية

تؤدي العلاقات الاجتماعية دوراً مهماً وأساسياً في استقرار الحياة الاجتماعية في المجتمع، إذ تعمل العلاقات القائمة على أساس الإخلاص في التواصل والترابط الاجتماعي والأهداف المشتركة

على استقرار المجتمع وتقدمه، فلا يمكن لأي مجتمع أن يحقق الاستقرار والتقدم وتحقيق التنمية إلا في ظل مجموعة منظمة من العلاقات الاجتماعية تربط بين أبنائه فالعامل الاجتماعي من أبرز العوامل التي تساهم في تقدم المجتمع واستمراره لأن الإنسان ابن بيئته يؤثر فيها ويتأثر بها، وإذا وقع لهذه العلاقات نوع من التوتر وعدم الاستقرار بين أفراد المجتمع فإن ذلك يؤثر سلباً على استقرار المجتمع من خلال التفكك الاجتماعي والعزلة الاجتماعية وافتقاد القدوة الحسنة وغيرها من العوامل التي تساعد على انهيار البناء الاجتماعي وإحساس أفراد المجتمع بالاغتراب عن مجتمعهم. (عماد عبد الرازق،2012، ص79).

2.3 طبيعة العلاقات الاجتماعية

من صفات الكائن البشري وجود علاقات بينه وبين الآخرين والتي تسمى بالعلاقات البشرية بغض النظر عن كونها علاقات إيجابية أو سلبية، وهي بالتالي تختلف عن مفهوم العلاقات الإنسانية والتي أصبح متعارف عليها بالعلاقات الإيجابية. فالإنسان كائن اجتماعي بطبيعته لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن باقي أفراد المجتمع الذي ينشأ فيه دون حدوث تفاعلات متبادلة بينهم فالفرد المنعزل لا وجود له. ولكي نتعرف على طبيعة العلاقات الاجتماعية يجب أولاً أن نتعرف على طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه الأفراد ويتفاعلون مع بعضهم البعض من خلاله، حيث أنه لا مجتمع بدون أفراد ، ولا أفراد بدون مجتمع ينتمون إليه، أما عن طبيعة العلاقات الاجتماعية فهي تختلف فمنها المباشر مثل العلاقات في محيط الأسرة وفي المدرسة والمصنع ودواوين الحكومة، ومنها غير المباشر مثل العلاقة التي تربط بين المنتج والمستهلك والفرد بالدولة، ومنها ما يؤدي إلى البناء والإيجابية والتجمع، وهي ما تسمى بالعلاقات المجمعة؛ مثل: التعاون والإخاء والتواصل والتودد، ومنها ما يؤدي إلى التنابز والتنافر وهي التي تسمى بالعمليات المفرقة والمفككة؛ مثل: الصراع والكراهية والنزاعات والحروب وغيرها.

والمجتمع لا يمكن أن يوجد ويستمر بدون تفاعل أفراده أي بدون علاقات اجتماعية تربط بينهم وتساعدهم على إشباع حاجاتهم الأولية والثانوية ولا يتم تفاعل الأفراد ببعضهم بصورة عشوائية غير منتظمة وإنما هناك ضوابط تحدد الصور التي يجب أن تسير عليها العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع والغرباء. (الجوهري، وحسين،2001، ص215). ومما لا شك فيه أن معظمنا يتصل بسلسلة من العلاقات الهامة مع زملاء العمل وأفراد أسرنا ومعلمي أطفالنا وأصدقائنا وأبنائنا. Dorothy Miell, 1996, p.2.

فلا يوجد ذلك الإنسان الذي يتمتع بالاكتفاء الذاتي فكل فرد بحاجة إلى أشياء بوسع الآخرين القيام بتقديمها، والشخص الآخر بالمقابل يقدم للآخرين ما يحتاجون إليه فالإنسان اجتماعي بطبعه ويجب تكوين العلاقات والصداقات، والفطرة السليمة ترفض الانعزال التام وتستهجن الانطواء وترفض الانقطاع عن الآخرين، والملاحظ أن الفرد مهما كان انطوائيا فإنه يسعى لتكوين علاقات مع الآخرين وإن كانت محددة، ويصعب بل وربما يستحيل عليه الاكتفاء على الذات والاستغناء عن الآخرين، لذا الإنسان لا يستطيع أن يفجر الكرة الأرضية ويتخلص من كل هؤلاء البشر ليعيش وحده، فقد وجد الناس ليبقى الإنسان فلا يستطيع أن يحقق أي نجاح أو سعادة دون أن يضع الآخرين في حياته، وعلى هذا الإنسان أن ينشئ جمهوراً مشجعاً من الآخرين لأنه عمل شاق أن يكون إنساناً وحيداً مهما كان لديه هدف مهم للغاية، أضف إلى ذلك أن الإنسان من خلال علاقاته يحصل على الدعم الاجتماعي لتخفيف عنائه، هناك حاجة داخل كل إنسان تتلخص في مودة الآخرين وصدقاتهم وإن ما تحتاج إليه هو تقبلهم له واعترافهم به. (عبد الهادي،2011، ص153).

وفي هذا السياق تجدر بنا الإشارة إلى أن أهمية العلاقات الاجتماعية داخل المؤسسة تأتي من أهمية العلاقات التي

تنجم من التفاعل اليومي بين الأفراد العاملين بداخلها وما يحدث بينهم من ممارسات وأحاديث تؤثر شكل كبير على سلوكيات الأفراد وعلاقاتهم داخل المؤسسة وخارجها.

3.3 العلاقة بين العلاقات الاجتماعية والإنسانية

يتضح من خلال سرد تعريفات متعددة ومتنوعة عن العلاقات الاجتماعية والإنسانية أن هناك خيط رفيع يفصل بين المصطلحين، وهو أن العلاقات الإنسانية تشكل في المفهوم الإيجابي دائما، أي أن العلاقات الإنسانية فيما بين الأشخاص جميعًا سواء كان في العمل أو المنزل أو بين الأصدقاء أو الأقارب هي واحدة، بمعنى أنها تتخذ الشكل الإيجابي فقط من خلال التعاون والمساعدة والمبادرة والإيثار والحماس والإبداع والابتكار...إلخ، أما مفهوم العلاقات الاجتماعية فقد يتخذ اتجاهين، وهما اتجاه الإيجاب واتجاه السلب؛ أي هناك علاقات اجتماعية إيجابية وعلاقات اجتماعية سلبية.

4.3 أصناف العلاقات الاجتماعية:

تختلف أنماط العلاقة الاجتماعية في طبيعتها وأهدافها فبعض العلاقات تعد بمثابة علاقات ودية حميمة كالأسرة والصداقات وبعضها علاقات رسمية وبعضها مرتبط بمواقف معينة وتكون في مجموعها هذه العلاقات شبكة اجتماعية أو نسيج اجتماعي محيط بنا ويؤثر فينا ونستجيب له بطرق مختلفة. (فاتن محمد،2008، ص09).

ووضعت تصنيفات متعددة للعلاقات الاجتماعية، **وسنعرض فيما يلي لأهم هذه التصنيفات:**

أ. العلاقات الأولية والثانوية:

يستند العلماء في تصنيفهم إلى هذا النوع من العلاقات عن طريق رجوعهم إلى تصنيف «كنجزلي دافيز» الذي صنف العلاقات الاجتماعية الأولية والثانوية والسمات الكيفية المميزة لكل منهما فالعلاقات الأولية هي علاقة مباشرة تنشأ عن طريق الاتصال بين عدد محدد من الأفراد، كما تتسم هذه العلاقات

بالخصوصية، والاستمرارية والدوام النسبي. علاوة على أنها تحقق منفعة مادية أو مصلحة في حبه لأفرادها. وتحتل هذه العلاقات وجودها في جماعات مثل الأسرة، والجماعات الصغيرة، والأصدقاء وجماعات اللعب. أما عن العلاقات الثانوية فهي علاقات غير مباشرة، وتحكمها مجموعة من القواعد الموضوعة والنظم واللوائح التي تحددها الجماعة، وتتسم بالسطحية النفعية والعمومية وهذا يظهر في العلاقات التي تحدث في المجتمعات الحديثة وتظهر من المعاملات العادية للحياة اليومية، مثل علاقة البائع والمشتري والمذيع والمستمع، والممثل والمتفرج، والمؤلف والقارئ. (على شتا،2000، ص49).

ب. العلاقات التلقائية والتعاقدية:

العلاقات التعاقدية تكون فيها الشروط معلنة بوضوح والشخص الآخر مقيد بهذه الشروط والأكثر من ذلك أن العلاقات التعاقدية هي موجودة لأجل غرض أو هدف وهي ليست هدف في حد ذاتها. وتظهر هذه العلاقات من خلال تحليل علماء الاجتماع وتمييزهم لأنواع وأشكال المجتمعات وهذا ما ظهر في تصور انتوينر Twins الذي يميز بين شكلين من أشكال المجتمعات هي المجتمع المحلي والمجتمع العام، وتنشأ العلاقات بين أفراد المجتمع الأول بصور ثلاثة هي الدم والجوار والصداقة أو التعاطف الروحي، ومن أهم أمثلة العلاقات التي تستند إلى هذه علاقة الأم بأطفالها أو الزوج بزوجته، أما بالنسبة للمجتمع العام فتكون العلاقات الاجتماعية علاقات تستند في تكوينها إلى عنصر الاتفاق والتعاقد بين الأفراد والجماعات وهذا يظهر في المدن الكبرى والمجتمعات حيث تصور على سبيل المثال وتوجد فيها روح الحياة الجمعية والتجانس الاجتماعي بينما تسود المجتمعات الآلية (الحديثة) العلاقات الاجتماعية المعقدة وتسود فيها روح عدم التجانس واللاتضامن الاجتماعي. (عماد عبد الرازق،2012، ص ص81 - 82).

ج ـ العلاقات الداخلية والعلاقات الخارجية المباشرة وغير المباشرة: الخارجية في علاقات الجماعة مع البيئة المحيطة بها (مع النسق الخارجي للجماعة). وتتمثل العلاقات الداخلية في علاقات الأعضاء داخل الجماعة والعواطف التي بينهم.

وأيضاً توجد العلاقات الاجتماعية إما وقتية أو مستمرة أو دائمة، **فالعلاقات الوقتية** تبدأ وتنتهي مع الحدث الذي يحقق هذه العلاقة، أما **العلاقات الاجتماعية المستمرة** فهي التي تتصف بكونها طويلة الأمر وأخيراً العلاقة الاجتماعية الدائمة التي تعتمد على عناصر لها صفة الثبات والاستقرار هذا النوع الذي تدعمه روابط الدم أو القومية والوطنية.

د. العلاقات الاجتماعية الإيجابية والعلاقات السلبية: فالعلاقات الاجتماعية الإيجابية من أمثلتها الصداقة والاتحاد القائم على الإخلاص وهنا تكون العلاقات موحدة ومجمعه ، في حين أن العلاقات الاجتماعية السلبية تقوم على عنصر الاختلاف وعدم التوافق، ومن أمثلتها المعارضة أو القضايا أو الصراع، ولهذا تعتبر العلاقات الاجتماعية السببية ومحطمة، ولهذا يمكن القول بأن العلاقات الاجتماعية الموجبة غاية في ذاتها لأنها دليل القوة الاجتماعية، بينما تعتبر العلاقات الاجتماعية السلبية من عوامل الهدم في الحياة الإنسانية. (عطية،2002، ص 134).

هـ. العلاقات الأفقية والرأسية: لما كان بناء الجماعة يشتمل على مراكز متدرجة فإن طرق الامتثال وأنماط التفاعل وأشكال العلاقات تتحدد تبعاً لذلك. وقد جرت العادة على تقسيم العلاقات الاجتماعية وفقاً لبناء المراكز وأساليب الاتصال في الجماعة والرؤساء مجالس الإدارات والشركات والبنوك أو فئة العمال.

و. العلاقات الاجتماعية الافتراضية: ظهر في الآونة الأخيرة نوع جديد من العلاقات الاجتماعية يحمل

العلاقات الاجتماعية الافتراضية، هذه العلاقات لا تنشأ من فراغ، ولكن لها بيئتها التي تتكون وتنشأ فيها، فكما أنّ العلاقات الاجتماعية تنشأ في المجتمع الواقعي، فإن تلك العلاقات لها حجمها الخاص فهي تنشأ داخل المجتمع الواقعي، وهذا المجتمع عبارة عن عملية تقاسم فضاء للاتصال مع أفراد لا نعرفهم، وغالباً ما يتم هذا الوقت الحقيقي، وهو عبارة عن انعكاس للمجتمع الواقعي. لكن لا يوجد فيه أناس فعليون واتصالات حقيقية كما في الواقع المرئي إنها افتراضية وهو عبارة عن جمهور من كل أنحاء العالم، جالسون أمام شاشة الكمبيوتر للتواصل مع بعضهم البعض. (تبيح، 2017، ص67).

5.3 مراحل نمو العلاقات الاجتماعية

عندما يرى الفرد أن جماعة ما تلبي احتياجاته وتشبع رغباته التي يأمل في تخفيفها، فيقرر الانضمام إليها لتحقيق متطلباته وأهدافه وإشباع حاجاته، ولكن ليس بمجرد الانضمام تتكون روابط وصلات بينه وبين أعضاء الجامعة التي ينتمي إليها، ولكنها عملية متدرجة، تبدأ أولاً بالتعارف إلى أن تنتهي بعلاقات اجتماعية وما بينهما من مراحل، ويمكن أن نوجز تلك المراحل في السطور التالية:

- **المرحلة التمهيدية:** وفي هذه المرحلة يبدأ الفرد في التعرف على أعضاء الجماعة المنظم إليها، ثم يبدأ في التفاعل مع الجميع دون تفرقة بين فرد وآخر، فعلى سبيل المثال الطفل في بداية مولده لا يستطيع أن يميز بين الأم أو الأب فهو يستمتع إليهم فقط اعتماداً على المؤثرات السمعية، كذلك الحال بالنسبة للفرد الذي ينتمي إلى جماعة ما فإنه يستمتع وينظر ويعي توجهات كل فرد واهتمامه ومعتقداته، ويظل على مسافة واحدة مع الجميع. وفي تلك المرحلة نجد أن درجة الثقة بين الأفراد قليلة، لأن الفرد يكون في مرحلة استكشاف لمن حوله ولما هو مقبل عليه، كما أنه يكون منغلقاً إلى حد نطاقه الشخصي حتى تكتمل مرحلة الاستكشاف.

- **المرحلة الوسطى:** وفي هذه المرحلة يبدأ الفرد في التقرب إلى أفراد الجماعة ممن تشابه معه أفكارهم وأراءهم واتجاهاتهم، وذلك تحت مظلة من الثقة وانفتاح الذات على الآخر، ويبدأ الفرد في تكوين رصيد من العواطف والمشاعر لكل فرد من واقع معاملاته وسلوكياته كخطوة أولية لتكوين علاقات. وفي تلك المرحلة يتجاوز الفرد مرحلة الاستكشاف إلى مرحلة التمهيد لبناء علاقات مع الآخرين، فيبدأ الفرد في توسيع دائرة اتصالاته، والتعمق المبدئي في كل ما يخص الأطراف الأخرى، والانفتاح معهم.

- **المرحلة النهائية:** في هذه المرحلة يصبح الفرد لديه من الرصيد العاطفي تجاه أفراد الجماعة ما يكفي لنشأة العلاقات فيما بينهم، من واقع خبرته السابقة الناتجة من التعامل معهم مراراً وتكراراً، بقدر لا بأس به من الثقة وتكوين صداقات قوية وعميقة، والقضاء على عقبات التواصل، حيث إن ارتباطهم في تلك المرحلة ارتباط يشمل كافة نواحي الحياة سواء من الناحية الوظيفية أو الناحية الحياتية والشخصية لتصبح العلاقة أكثر خصوصية وتعمقاً، قوامها التفاعل الدائم والاتصال المستمر، والتواصل اللامتناهي وفقاً للأحداث اليومية.

- **مرحلة التدهور:** عندما تصل العلاقات الاجتماعية إلى ذروتها من التماسك والتقارب قد يعيد أطرافها النظر فيها من حيث تجديدها أو إنهائها، والبدء في تكوين علاقات أخرى، وهذه المرحلة ليست مرحلة أساسية في كل علاقة، وهذا يتوقف على مدى حرص أطرافها على الإبقاء عليها. (ولاء العوضي،2016، ص 119 - 120).

وعلى ضوء ذلك فالفرد في مراحل تكوينه للعلاقات عليه أن يبدأ من نقطة الصفر وهي نقطة الدراسة والتعرف الجيد حتى لا يساء اختيار من يكون معهم علاقات اجتماعية، بالشكل الذي يأتي عليه بنتائج عكسية من هدفه لتكوين تلك العلاقات.

6.3 العوامل المؤثرة في ضبط العلاقات الاجتماعية

تنشأ بين الأفراد علاقات اجتماعية يتحكم فيها عدة عوامل وفي حقيقة الأمر هناك مجموعة من العوامل، وهي كالآتي:

1- القيم: يعد مفهوم القيم من المفاهيم التي تعددت فيها الآراء واختلف أهل الاختصاص في تعريفها نظراً لما تتسم به القيم من عمق معرفي وثقافي خاصة أنها تخضع لمعتقدات وثقافة الفرد والمجتمع، فعندما يتكلم أحد عن القيم فإنه ينطلق من خلفيته الدينية والثقافية، وتصوره عن القيم مرتبط بما يلمسه ويشاهده في مجتمعه من حيث سلم القيم وأهميتها ودرجة إلزامها. والقيم هي المحك أو الإطار المرجعي الذي يتحكم إليه شخص ما أثناء القيام بالمفاضلة بين الموضوعات والبدائل المطروحة عليه، وهي مفاضلة تفي في النهاية إلى تحديد ما هو جيد ومرغوب فيه وما هو سيئ غير مرغوب فيه ومن هذا المنطلق فإن القيم تشكل موجهات السلوك والأفعال. (أوغيدني، 2016.ص 27).

2 - المعايير: يرى بعض العلماء أن المعايير هي قواعد للسلوك نالت القبول والرضا الشرعي، وتظهر المعايير عندما يتفاعل أفراد لهم دوافع واهتمامات مشتركة لفترة كافية من الوقت فتطبق هذه المعايير من أجل المحافظة على السلوك القائم، والتعاون عليه، والمحافظة على التفاعل المستمر نسبياً بين الأفراد، فالمعايير عبارة عن تصورات وأفكار تزود الفرد ثقافته ومجتمعه.(أبو الريش، د.ت، ص19).

والمعيار: هو سلطة اجتماعية يخضع لها الفرد ولو كان بعيداً عن أعين الرقباء، بحيث يؤثر في كثير من دوافعه وسلوكه وانفعاله، وهو مصطلح قياسي لتقدير الصواب في سلوك الفرد كعضو في الجماعة والمعايير نتيجة للثقافة.

والنتيجة الحتمية أنّ الإنسان مهما بلغ من الترفّع والتكبّر فلن يستطيع أن يحدث ثقباً في الأرض، كما أنه لن يستطيع مساواة الجبالِ في الطول، فما دام الأمر محسوم والنتيجة معروفة؛

ففيم التكبّر والتغطرس الذي نهايته الخسران المبين، والحسرة والندامة. ومما يرفع درجة المؤمن في الدنيا والآخرة: حسن الخلق، ولين الجانب، وكف الأذى، والرفق في القول والعمل. المسلم من صفاته التواضع، والتجاوز عن هفوات الآخرين، وتحمّل الأذى، وعدم السخرية، وقضاء حاجات الناس، وتفقد ذا الحاجة والمسكين راجياً من الله التجاوز وتيسير الحساب، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿42﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿43﴾ ﴾ الشورى.

3. دور الأخلاق في بناء الحضارة

إن المعيار العام لعملية التطور والتقدم هو أن الحضارة تخلق منتجاتها الذاتية، ومن يكرس نفسه لمنتجات الحضارة لا يخلق حضارة ولا يستطيع أن يخلق حضارة. فمن العبث خلق حضارة عن طريق شراء منتجات حضارات أخرى، لأن خلق الحضارة هو إمكانية ذاتية تبدأ من الذات. إنها مجموعة من العلاقات بين المجال البيولوجي، حيث تنشأ وتتعزز بنيتها، والمجال الفكري، حيث تولد روحها وتنمو. وهي تستند إلى تجربة مخططة منبثقة من الواقع الاجتماعي وخاضعة لمناهج علمية مستمدة من الدراسات والتجارب التي أجريت على هذا الواقع الإنساني.

ويرى مالك بن نبي أن أول واجب على العالم الإسلامي في مواجهة الفوضى السائدة في كل مكان، هو تقليص المسافة التي تفصله عن التقدم المادي، على أساس التخطيط المنهجي والوعي بكل جوانب مسألة التقدم المادي هذه. وليس هناك من تشريع أو قانون قادر على توجيه الحضارة في الاتجاه الصحيح غير الإسلام، بفضل هديه الإلهي وقيمه السامية وأخلاقه الحميدة.

والمنهج الإسلامي يشجع على العلم والتعلم، ويدعو إلى بناء حضارة علمية قوية. وقد برع علماء الإسلام في العلوم التجريبية، ولا تزال إبداعاتهم مرجعاً للباحثين. فقال الله تعالى لنبيه الكريم:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿4﴾ ﴾

القلم.

وهكذا يعلّمنا الإسلام من خلال تشريعاته الإلهية ومعاييره السلوكية الرفيعة أن الأخلاق الفاضلة تكسب الإنسان احترام أهله ومودتهم وتجعلهم من أهل المنزلة الرفيعة في الدنيا والآخرة. والمتدبر لآيات القرآن الكريم سيجد أنه يدعو إلى مكارم الأخلاق التي تبني الإنسان السوي المعتدل المتوازن، وتنمي الطاقات الإيجابية في داخله وتقوي إنسانيته وكرامته، فالقرآن الكريم يخاطب القلوب ويخوض في أسرار النفوس خطاباً يصلحها، ويقودها إلى تحقيق السعادة الدنيوية والأخروية.

4. خلاصة:

إن نشأة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد تحكمها ضوابط معينة، وهي نتيجة لاعتبارات ومعايير مختلفة. فالمكانة الاجتماعية للفرد والدور الذي يلعبه في الحياة الاجتماعية يمكن أن يحدد نوع العلاقة التي ستقام بين الأفراد. إن إدراك الأفراد الآخرين هو الذي يحدد نوعية علاقتهم به، وليس إدراكه هو نفسه للآخرين، لأن الآراء تختلف وتتعدد حسب مكانة كل فرد واهتمامات كل فرد، والفرد الذي يقيم علاقة اجتماعية لديه العديد من الأفكار المسبقة والمصالح التي ستحدد العلاقات الاجتماعية التي سيتبناها، ويمكن القول إن ما يتحكم في العلاقات الاجتماعية هو أخلاقية شخصية الفرد ومجموع اهتماماته ومصالحه.

5. النتائج التي تم التوصل إليها:

لقد خرج هذا البحث بمجموعة من النتائج التي توصلت إليها الدّراسة النظرية، والمحاولة إلى الخروج بتوصيات ومقترحات من شأنها أن تعمل على إثراء الباحثين موضع البحث النتائج المهمّة:

- كلّ مجتمع من المجتمعات البشرية له أساليب ضبط تنظم حياة البشر، وتحكم طرق معاملاتهم وسلوكياتهم لتحقيق الضبط الاجتماعي، كالقوانين والأعراف والعادات والتقاليد. وتختلف أساليب الضبط الاجتماعي في أهميتها

باختلاف المجتمعات وباختلاف الزمان والمكان.

- تبين لنا أهمية العناية بأنواع من الأخلاق النفسية، وذلك لما لتلك الأخلاق النفسية من آثار في جملة تصرفات الإنسان وسلوكه، ومن تلك الأخلاق: الأمانة. - الصدق - العفة. - المروءة. - الجدّية.

- أنّ اهتمام القرآن الكريم بالقيم الأخلاقية والاجتماعية الفاضلة يؤكد لنا في الماضي والحاضر والمستقبل أنّ الإصلاح الاجتماعي منهج حياة لا تستغني عنه البشرية جمعاء.

- أنّ وجود ضبط العلاقات الاجتماعية في المجتمع الجزائري يخلق مناخا نفسيًا واجتماعياً جيدًا، قوامه التقارب المكاني لتواجد الأفراد في محيطهم الاجتماعي وفي مختلف الفضاءات الاجتماعية العامة منها والخاصة، وضبط العلاقات الاجتماعية يساعد أفراد المجتمع على توافر الانسجام والتكيف الذي يتيح الجو الملائم للعمل.

- تؤدي الأخلاق إلى ضبط العلاقات الاجتماعية مما تحقق رضاء نفسيا واجتماعية ووظيفيا، نابعا من إشباع الفرد لحاجته ورغباته سواء الفسيولوجية أو النفسية والاجتماعية.

- أنّ وسائل الإعلام تراجع دورها إلى حد ما في اهتمامها بالمواضيع والبرامج والحصص التي تساهم في تعزيز وترسيخ القيم الأخلاقية في المجتمع من أجل أخلقة الحياة العامة بوعي محب والحث على التمسك بكيان المجتمع ووحدته وقيمه.

- ضبط العلاقات الاجتماعية يساعد على تماسك الجماعة واستمرارها وكذلك تجنب حدوث الصراعات.

- أنّ مهمة المؤسسة الدينية أن تتولى ترسيخ القيم الأخلاقية من خلال الخطب الدينية والمحاضرات والمناسبات من أجل تعريف دول العالم بالإسلام الإنساني إلا أنها تحتاج إلى زيادة التفعيل المستمر والمداومة عليها من خلال الخطاب المسجدي.

6. التوصيات: لتحقيق غرس الأخلاق وضبط العلاقات الاجتماعية هناك جملة من التوصيات منها:

- ضرورة تركيز الباحثين والعلماء والدارسين في الجامعات ومراكز الأبحاث العلمية من خلال المحاضرات العلمية والدروس الدعوية على ربط مسألة ضبط العلاقات الاجتماعية بالثواب والعقاب عند الله عزوجل.

- إعداد البرامج التربوية التي تسهم في بناء الأخلاق وضبط العلاقات الاجتماعية على ضوء التعاليم الإسلامية وتطبيقها في المدارس والمعاهد العلمية والجامعات.

- ضرورة أن تتولى المؤسسة الدينية ترسيخ القيم الأخلاقية من خلال الخطب الدينية والمحاضرات والمناسبات من أجل تعريف دول العالم بالإسلام الإنساني.

- الحث على العفو وتقديم الاحترام للآخرين وعدم الانتقام وقلع جذور الحقد والعدوان والكراهية من نفوس الأفراد.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن عاشور، محمد الطاهر، (2010)، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ط2، مصر: دار السلام.

- ابن باديس، عبد الحميد، (2009)، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج1، الجزائر: دار الرشيد.

- ابن عطية الأندلسي، أبي محمد، (2002)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط1، ج2، لبنان: دار ابن حزم.

- أبو الريش ريم محمد رسمي، (د.ت)، واقع العلاقات الاجتماعية بين أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الفلسطينية وعلاقته بجودة الأداء - رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية كليه التربية، قسم أصول التربية.

- أوغيدني أحلام، (2016)، القيم الاجتماعية المحلية وتأثيرها على الالتزام التنظيمي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضر، الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية.

- الأموي الإشبيلي، (1998)، أبو بكر محمد بن خير، فهرسة ابن خير الإشبيلي، حقق: محمد فؤاد منصور، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية.

- بريك ولاء العوضي عبد الحميد، (2016)، تأثير العلاقات الاجتماعية بين ممارسي العلاقات العامة على مستوى أدائهم المهني دراسة تطبيقية على عينة من المنظمات المصرية، رسالة ماجستير، العراق: جامعة المنصورة: كلية الآداب قسم الإعلام.

- البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم 52. مسلم، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

- بن نبي مالك، (1986)، ميلاد المجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، الجزء الأول، ط 3، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق.

- التومي الشيباني، عمر، (1987)، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع.

- الخزندار، محمود محمد، (1997)، هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، ط2، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

- جابر الجزائري، (1422)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط2، المملكة العربية السعودية: مكتبة العلوم والحكم.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني البصريّ، (1989)، تهذيب الأخلاق، حققه: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث.

- الجوهري عبد الهادي وحسين عبد الحميد رشوان، (2001)، دراسات في الأنثربولوجيا، د.ط الإسكندرية: المكتبة الجامعية.

- صبح، علي، (د.ت)، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.

- يوسف، محمد السيد، (2004)، منهج القرآن في إصلاح المجتمع، ط2، بيروت: دار السلام.

- رشوان، محمد مهران، (1998)،

تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، القاهرة: دار قباء للطباعة والتوزيع.

- زهران، حامد عبد السلام، (1974)، علم النفس الاجتماعي، مصر: عالم الكتب، القاهرة.

- الزحيلي عبد الله بن ضيف الله، (1579هـ)، الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، د.ب: مطبعة سفير.

- زيدان، عبد الكريم، (2002)، أصول الدعوة، ط9، بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة.

- سالم علام، فرج أحمد الرفاعي، (2016)، التداول الحضاري في القرآن الكريم، ط1، مصر: دار روابط للنشر.

- السقاف، عَلوي بن عبد القادر، وآخرون، (1433)، موسوعة الأخلاق الإسلامية، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، ع3.

- السيد على شتا، (2000)، التفاعل الاجتماعي والمنظور الظاهري الإسكندرية: المكتبة المصرية.

- السيد عطية، (2002)، ديناميكية الجماعات أساسيات نظرية وعمليات، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

- سامية معاوي، (2009)، الثقافة التنظيمية والعلاقات الاجتماعية داخل المؤسسة الجزائرية، دراسة حالة بالمؤسسة المينائية لسكيكدة، رسالة ماجستير، جامعة باجي مختار الجزائر: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الاجتماع.

- شروخ صلاح الدين، (2004)، علم الاجتماع التربوي، الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع.

- شيماء عماد عبد الرازق، (2012)، أنماط العمل وأثرها على العلاقات الاجتماعية، دراسة على عينة من العاملين المؤقتين بجامعة أسيوط. رسالة ماجستير مصر: جامعة أسيوط، كلية الآداب، قسم الاجتماع.

- صالح بن عبد الله، وآخرون، (1998)، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ط1، جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع.

- فاتن محمد شريف ويحيى مرسى عيد بدر، (2008)، مقدمة في علم اجتماع الأدب، الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة.

- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، (2007)، الجامع لأحكام القرآن، ج10، حامد عثمان، القاهرة: دار الحديث.

- تبيح أمينة، (2017)، التجمعات الافتراضية في الجزائر: المدينة التي لا تنام جامعة المدينة.

- مصطفى، وديع واصف، (2000)، ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق، أبو ظبي: منشورات المجمع الثقافي.

- محمد حلمي، (عبد الوهاب، 2012)، القيم الروحية في الإسلام، الكويت: روافد، الإصدار49.

- المعجم الوسيط، (2004)، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق.

- نبيل عبد الهادي، (2011)، تشكيل السلوك الاجتماعي، عمان: دار اليازوري للنشر والتوزيع.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Dorothy Miell and Rudi Dallos (1990) : "Social Interaction and Personal Relationships" : London: SAGE publications.

القرآن الكريم وأخلقة الحياة السياسية

بقلم: د.نزاي اسماعيل

كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر

ملخص

تقوم هذه الدراسة بالبحث في استلهام الهداية القرآنية لأخلقه الحياة السياسية، وبيان علاج هذا المجال وفق الأحكام والتوجيهات التي أرستها الآيات، مراعيا في ذلك كله المنهج الاستقرائي الملائم لمثل هذه الدراسات، والقائم على تتبع النصوص التي عنيت بهذا الموضوع لفظا أو معنى؛ كما هو مذكور في عملية جمع الآيات التي ذُكر فيها أمر الاستخلاف، وتم ربط انتظام موضوعات هذا الفنّ تحت مسمّى السياسة الشرعية.

كما أنها تبرز القواعد الهامة في صورة مختصرة محددة في الوقت ذاته المعايير والأساليب في السياسات المختلفة للتعامل معها. وتم ذكر بعضها من باب بيان ضرورة الاهتمام بها وإعطاء صورة تفاعلية بين الهداية القرآنية والواقع، عن كيفية تناولها وتوجيهها وضبطها من نصوص الوحي. ومن جملتها: تثبيت الأمن في البلد واعتباره مقصدا قرآنيا هامّا؛ والتطرق إلى تأمين حياة الناس في مختلف مجالاتها: الفكري، والنفسي، والبيئي، والصحي، والاقتصادي، وغيرها. ونظرا للاتصال الوثيق بين القواعد والقيم في المجال السياسي تم الحديث عن أهم القيم الكبرى للعملية السياسية في القرآن الكريم وربطها بواقع الأمة تأصيلا وتطبيقا.

وتم الحديث عن قيمة العدل باعتبارها ركيزة حضارية، وقاعدة سياسية في التواصل بين الراعي والراعية؛ كما تم التطرق بشيء من التفصيل أيضا إلى قيمة الشورى، واعتبارها عنصراً هاما في مفاصل عملية الحكم. وتبيّن من خلال ذكرهذا البحث لجملة من القواعد والقيم مدى هيمنة القرآن الكريم في أحكامه وتعاليمه وإشاراته على كل ما يتعلق بحياة الإنسان، وقدرته على مسايرتها ونمائها وتوجيهها التوجيه الصحيح الذي يتلائم مع الفطرة. وتمّ الخلوص إلى أن القواعد والقيم السياسية التي أرساها القرآن تثمر انسجاما وتكاملا بين الدولة والمواطن؛ كما أنّها تخلق جسرا من الثقة يتواصل على أساسه الطرفان معا.

الكلمات المفتاحية:

القرآن الكريم، السياسة، القواعد، القيم.

مقدمة

حمل القرآن الكريم ببيانه الهداية لجميع البشرية، ولم يقف عند جانب من جوانبها؛ بل تحدّث بشموليته عن كل المجالات التي يحتاج إليها الإنسان؛ وهذا الشمول عامل رئيس لحيوية الأمة وحركتها، وديمومتها ونمائها؛ كما أنه نظّم علاقة الإنسان بربه عقيدة وعبادة، وصلته بإخوانه برّا وإحسانا، مع مراعاة ملابسات المجتمع الذي يعيش فيه، خصوصا فيما لا ينفك عنه غالبا، ويتصل به اتصالا وثيقا.

ونظرا لمدنية الإنسان وطبيعة عيشه بين بني جنسه، وما ينتج عن ذلك الاحتكاك من توافق وتجاوز وحاجته إلى جهة تكفل حقّه، وتحمي نفسه وتعينه؛ فإنّ هذا الكائن البشري سيظل ساعيا إلى محاربة الظلم، أو الوقوع فيه، مع طلب تحقيق العدل أو خيبة الأمل. ولم تكن نصوص الوحي بمنأى عن معالجة كلّ هذه

القضايا، ومسايرة الإنسان خلال مراحل حياته كلها. والمتدبر في القرآن الكريم يجد من جملة أصول وتعاليمه ما تضمنته آياتُه من إشاراتٍ كثيرة عن الاستخلاف في الأرض، وطريقة الحكم، وسياسية الأمّة، وواجبات وحقوق وأخلاق تشمل الراعي والرعية، مما يجعلنا نقف على منظومة متكاملة تشمل الأصول، والقواعد، والقيم في دائرة العمل السياسي.

وسوف تتم معالجة هذا الموضوع في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، يتناول التمهيد التأصيل لهذه المسائل من خلال جملة من الآيات القرآنية. بينما يتناول المبحث الأول القواعد التي تحدد المعايير والأساليب في السياسات المختلفة للتعامل معها، والمبحث الثاني فيه جملة من القيم التي تعد الجانب التطبيقي لأخلقة العمل السياسي.

1. تمهيد

لم يرد في القرآن الكريم لفظ السياسة، أو ما اشتق منها؛ وهذا لا يعني أنّ القرآن لم تتحدث آياته عن المجال السياسي؛ ولكن وردت فيه ألفاظ ومصطلحات قرآنية تشير إلى أصول النظام السياسي، وقواعده، وقيمه وأخلاقه. ومن جملة هذه التسميات الكلمات الآتية: خليفة، المِلك، المُلْك، أولي الأمر. وجاءت صيغ فعلية تدل على الممارسة العملية للفعل السياسي؛ ومنها: مكّنّي، حكمتم، اعدلوا، تعارفوا، يبايعونك، حكمتم، الأمانات، وغيرها من الألفاظ التي يستشف منها هذا الأمر؛ كما أنّ الناظر في سيرة النبي ﷺ في شقّها المتعلق بإدارة شؤون أصحابه في إقامة العلاقة بينهم، أو مع غيرهم في السلم والحرب، والحضر والسفر، يجد مبناها على ما جاء في القرآن الكريم من التوجيهات والقيم والأخلاق. وانتظمت موضوعات هذا الفنّ تحت مسمّى السياسة الشرعية، وهي مجال واسع.

والآن يتم الاشتغال على هدي القرآن في هذا المجال بشيء من التوسع في مجال الدراسات القرآنية، وبقضايا التّنزيل في المجال السياسي داخل هذه المساحة العلمية الجديدة، ويعنى بها: "بيان الآية، وشرحها بملاحظة الأغراض السياسية التي تستهدفها (أبو الحسن الحسني، 2018). وفيما يلي بعض النصوص التي تؤكّد ما سبق:

- قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ الأنعام: 167.
- قال الله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ الأنعام: 134.
- قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾ الأعراف: 74.
- قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ ص: 26.
- قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة: 30.

ومجموع الآيات التي ذُكر فيها أمر الاستخلاف جاءت متنوعة، تارة بصيغة الفعل، وتارة بصيغة الاسم؛ وهذا فيه إشارة إلى الثبات وإضفاء التجديد عليه، كلّما دعت الحاجة وغشيت قضايا الأمة البلى. والتنوع حاصل في الإسناد أيضا؛ فأحيانا يسند الخطاب فيها للمفرد، وأحيانا للجماعة؛ ممّا يدل على أن مسؤولية القيام بمقتضى الاستخلاف إنما هو شأن الفرد، كما هو شأن الجماعة. ونظرا لمدنية الإنسان وطبيعة وجوده، وحتمية عشيه مع بقية أفراد جنسه؛ فإنّ هذه الخلطة الدائمة تقتضي حدوث توافق وخلاف، ونماء وائتلاف؛ ممّا يحتم وجود قوة تتابع شأن الأمة قويها وضعيفها، "وذلك هو السلطان الذي ينفذ حكمه على الكلّ؛ فثبت أنه لا ينتظم مصالح الخلق إلا بسلطان قاهر

سائس (المرجع نفسه).

أما التّعريف الاصطلاحي فذهب العالم الجزائري أبو يعلى الزواوي إلى بيان مفهومها من زاوية الممارسة عند معاشر المسلمين عموما، وعند العلماء خصوصا، واختزلها في كونها عند الأمة الإسلامية "أنّها عبارة عن تدبير الأمور" (الزواوي، 2009)

وهذا التعريف مختصر، ولكنّه ذكر كلمتين هامتين هما مرتكز كل ـ تعريف عند أهل هذا الفنّ لفظا، أو معنى، وهما: (تدبير الأمور). فالتدبير يرجع إلى حسن الرأي، وتوقد الذهن، وسلامة الفكر، وقوة الطرح، وغيرها مما يجود به عقل القائم على شأن الرعية: استقلالا بنفسه، واتصالا بغيره.

ويضيف الشيخ عبد الوهاب خلّاف قيدا هامّا يتعلق بالسياسة الخارجية لإدارة المجتمع المسلم بقوله: "هي تدبير أمور الأمّة الدّاخلية والخارجية" (خلاف، 1988). وهذا القيد هو الذي يكفل للأمة الحماية الخارجية، لأفرادها وجماعاتها؛ ويحفظ عليهم مصالحهم، ويرسخ تنظيم علاقتهم بغيرهم؛ نظرا لطبيعة الارتباط الكائن بين الأمم والمجتمعات على اختلاف أجناسهم، وتنوع مشاربهم.

وذهب الإمام الإبراهيمي إلى تعريفها وذِكْر الهدف منها، وبيان لبابها؛ واعتبر ذلك معنى عاما عند جميع العقلاء واختزلها كسلفه في عبارة واحدة: (إيجاد الأمّة) " (الإبراهيمي)

ولا يعنى بهذه العبارة تكوين أمّة من العدم، وبعثها للوجود؛ إنّما يرمي إلى "تثبيت مقوّماتها من جنس، ولغة، ودين، وتقاليد صحيحة، وعادات صالحة، وفضائل جنسية أصيلة (مقال سابق).

وهذا التعريف نابع من خضم الممارسة التي كان يقوم بها الشيخ ضمن أبناء الجزائر الشرفاء، الذين كانوا يسعون بتذليل كل الطرق الموصلة إلى الحرية والاستقلال؛ ومن بينها الممارسة السياسية المبنية على الثوابت، والأخلاق، والقيم.

2. القواعد السياسية بين الراعي والرعية

وهذه القواعد تؤثّر بشكل عام في الممارسة والعمل السياسي، وتؤدّي دورا هاما عند الانطلاق منها لخدمة ما ينتهي من السبل الصحيحة إليها؛ فعمارة البلد قاعدة هامة لكن كيف تكون هذه العملية؟ فهي في حدّ ذاتها هدف، ولكنها قاعدة تجعل القائم على شأن الأمة يفكّر في السبل التي يصل من خلالها إلى عمارتها.

وهذه القواعد تحدد المعايير والأساليب في السياسات المختلفة للتعامل معها. ويذهب الماوردي إلى تحديدها بأربع قائلا: "وَأمّا سياسة المُلْك بعد تأسيسه واستقراره، فتشتمل على أَربع قَوَاعِد وَهِي: عمَارَة الْبلدَانِ، وحراسة الرّعية، وتدبير الْجند، وَتَقْدِير الْأَمْوَال" (الماوردي، 1981). وهي عنده لها تبعية للتأسيس والاستقرار لأنه لا يتأتى عمل زكيّ ونماء صحيح للبلد في ظلّ الفوضى ولاّ استقرار؛ وفي سورة النور قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿55﴾﴾ ما يشير إلى الترتيب بين الاستخلاف والتمكين. وفيما يلي التعرض لهذه القواعد ضمن ما جاءت به نصوص الوحي في القرآن الكريم:

1.2 تنصيب الراعي لشؤون الأمة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة: 30.

هذه الآية من النصوص التي يستند إليها في القول بضرورة وجود راع للرعية، وقائم بأمرها، لأنّ طبيعة النّظام البشري يقتضي سلطانا تصل به الحقوق وتفض به النزاعات، وتبنى به الحضارة. قال القرطبي: «هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع، لتجتمع

به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة. ولا خلاف في وجوب ذلك» (القرطبي، 1384هـ،1964م).

وفيه آيات كثيرة يؤخذ منها هذا الحكم الذي نفى القرطبي أن يكون فيه خلاف؛ كما اشتملت على جملة من الأوصاف التي يستلزمها مقام الولاية العامة، وغيرها. ومن جملة هذه الآيات ما يلي:

- قال الله تعالى: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55)﴾ يوسف.

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ البقرة: 247.

- قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26)﴾ القصص.

- قال الله تعالى: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (142)﴾ الأعراف.

- قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36)﴾ النمل.

- قال الله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95)﴾ الكهف.

- قال الله تعالى: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ص: 26.

ومجموع هذه الآيات تشير إلى جملة من الصفات التي ينبغي توفرها في طالب عمل من أعمال الولاية، بمقاماتها كلّها؛ ويمكن ترتيبها واختصارها فيما يلي:

- وجوب حفظ الولاية التي أوكلت إليه، وهذه الصفة تستلزم الأمانة لصاحبها، والرعاية لشأن الأمة في مصالحها؛ وهذا الحفظ يكون عن علم ودراية، وأهلية للاستحقاق.

ضرورة تولية من هو أهل لولاية عمل من أعمال الأمة، ولو كانت بطلب منه؛ قال ابن عاشور في تعليقه على آية الطلب في سورة يوسف: "أخذ فقهاء المذهب جواز طلب القضاء لمن يعلم أنه أهل، وأنه إن لم يُولَّ ضاعت الحقوق (عاشور، 1984) وهذا القيد ليس شرطا في الطلب، وإنما يتعين إذا علم ضياع مصالح الأمّة وفساد الرعية حال امتناعه.

استهداف الكمال في محاسن الخصال مع اقتران ذلك كلّه بالأمانة والعفة والعلم بتدبير الأمور؛ لأنّ ذلك أدعى لتسيير شؤون المجتمع، والوقوف بالنفس على، وتفقد الرعية، وفي الأثر عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال: «أشكو إلى الله ضعف الأمين، وخيانة القوي» (عاشور، 1984).

مدار الاختيار في الإمامة وطلبها على الكفاءة من أهلها بالعلم والدراية؛ لا بالجاه والنسب، وغيرها من الصفات التي تفوّت على الأمة مصالحها. قال القرطبي تعليقا على آية سورة البقرة: «بسطته في العلم الذي هو ملاك الإنسان، والجسم الذي هو معينه في الحرب وعدته عند اللقاء، فتضمنت بيان صفة الإمام وأحوال الإمامة، وأنها مستحقة بالعلم والدّين والقوة لا بالنسب» (القرطبي)

بيان ما يقوم به الإمام ابتداء من عرض شامل لسياسته، تتمثل في اصلاح عام؛ لأنّ قاعدة سياسة الأمة تتمحور حول الإصلاح؛ والأخذ على العاتق مبدأ مركزية الحق في التواصل مع كل شرائح المجتمع حكما وعطاء ونماء.

إرساء مبدأ التعاون والتكافل بين أفراد الأمة، وفي العلاقة بين الراعي والرعية ساعة الحاجة، والوقوف بالنفس إلى جانب القائمين؛ فتجب الاستجابة لذلك تطوّعا وأجرا؛ وفي قصة القائد ذي القرنين "أنه لا يأخذ منهم الخرج فلم يبق إلا استدعاء المناولة، وأعمال الأبدان" (المرجع نفسه).

2.2 عمارة البلد

العمارة والعمران بمعنى واحد ويعنى به: «البُنيان وَمَا يعمر بِهِ البَلد، وَيحسن حَاله، بوساطة الفلاحة والصناعة وَالتِّجَارَة، وكثرَة الأهالي، ونجاح الأعمال والتمدن» (نفس المرجع).

ووفق ما سبق يتوجه الخطاب إلى الفرد والجماعة ببناء الوطن والسعي في حضارته، بالفلاحة والتجارة، وكلّ ما من شأنه أن يزيد في تمدّنه. ومن حكمة الله تعالى في كونه أن سخر للإنسان ما في السماوات وما في الأرض تفضّلا منه؛ واقتضى ذلك التسخير تسهيل المنافع، وجلب المصالح على وجه هذه المعمورة. قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ الملك: 15. والآية تضمنت أمورا ثلاثة هامة:

- نعمة التّسخير للأرض وجعلها سهلة المنال من خيراتها، وهو أسلوب يجعل النفس متشوقة للسلوك فيها؛ كما يحتم على العبد شكر المنعم عليها.
- الحركة في الأرض بالسعي واتخاذ الأسباب، وتحريك عجلة التنمية على ظهرها.
- حتمية جلب الخير للبلد، والنفع للفرد والمجتمع نتيجة التسبب والكسب؛ وفي الآية بيان وإشعار في الوقت ذاته «أنّ في هذا الأمر مع الإباحة توجها وحثّا للأمة على السّعي، والعمل والجدّ».

وفي موضع آخر قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ هود : 61. والآية تشير إلى كون الإنسان هو من يعمر الأرض، ولا يتأتّى ذلك إلا في إطار سياسة تشمل كلّ أطياف المجتمع؛ لأن الله تعالى أوجد الأرض وفق مواصفات ذاتية معينة، يحصل بها التطابق للمصالح والتوافق للمنافع. قال

ابن العربي: «قال بعض علماء الشافعية الاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب» (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن).

وقال الله تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ الأعراف: 74.

والحديث عن الأرض وما فيها من خيرات ومنافع كثير في القرآن الكريم، والحكمة من ذلك لفت الانتباه إلى الاشتغال على إصلاحها، واستخراج كنوزها، وبناء اقتصاد الدولة منها. قال الماوردي: «فَأَما الْمزَارع فَهِيَ أصُول الْمَوَاد الَّتِي يقوم بهَا أود الْملك، وتنتظم بهَا أَحْوَال الرعايا؛ فصلاحها خصب وثراء، وفسادها جَدب وخلاء، وَهِي الْكُنُوز المدخورة وَالْأَمْوَال المستمدة ؛وَأيّ بلد كثرت ثماره ومزارعه اسْتَقل بخيره وفاض على غَيره؛ فَصَارَت الْأَمْوَال إِلَيْهِ تجلب والأقوات مِنْهُ تطلب» (المرجع سابق)، وكلام الماوردي هذا في القرن الخامس الهجري يلح بضرورة اعتماد اقتصاد الأمة على المجال الفلاحي ولا يزال هذا النداء على ألسنة أهل الاختصاص إلى اليوم مما يدلّ على أهمية الاعتناء بهذا المجال، لأنه منبع اقتصاد الدولة الذي لا ينقطع، ومكمن قوتها التي لا تخبو.

3.2 تثبيت الأمن في البلد:

الأمن كلمة تهدأ النفس عند سماعها، وتهفو إليها القلوب عند معرفة بيئتها؛ فهي تجمع بين طيب العيش حسا واطمئنان الإنسان معنى. وعرفها ابن عاشور بقوله: «حالة اطمئنان النفس وراحة البال، وانتفاء الخوف من كل ما يخاف منه، وهو يجمع جميع الأحوال الصالحة للإنسان من الصحة والرزق ونحو ذلك» (مرجع سابق).

قال الله تعال عن يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿99﴾﴾ يوسف، وهذه الآية تشير إلى وجود الأمن على النفس والمال

والأهل، وانتفاء الخوف. والآمِرُ بالدخول في الآية نبي الله يوسف وهو القائم على شأن رعيته. ويعلّمنا القرآن في هذه السورة أنّ من أوصل تلك الأمة إلى ما وصلت إليه هو حسن تدبيره، وقيامه على أمر أمته بالعدل، ومن هنا يتبين مقام حفظ الأمن كمقصد قرآني هامّ؛ فيجب تأمين حياة الناس في مختلف مجالاتها: الفكري، والنفسي، والبيئي، والصحي، والاقتصادي، وغيرها. وجاء بعضها في سياق النعم التي امتنّ الله بها على خلقه كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿18﴾﴾ سبأ، وفي الآية إشارة إلى سلامة الناس في تنقلاتهم، وطرقاتهم، في الفترة الليلية أو النهارية. والحالةُ الأمنية هي التي مكّنتهم من السير في كلّ الفترات؛ وهذا أدعى لقضاء مصالح الناس والتواصل بينهم، وزيادة إنتاجهم؛ فيصبح الأمن عاملا مهمّا في الممارسة التعبدية والأعمال اليومية، وخلق بيئة يطيب العيش فيها، ويهنأ الفرد والمجتمع بالاستقرار على صعيدها. وذكرُ (السير) و(الليل) و(آمنين) تدلّ هذه الكلمات على استتباب الأمن وانتشاره على نطاق واسع، يشمل المقيم والمسافر، والراكب والنازل؛ وهي قمّةُ تمكّنِ الأمن من حياتهم. قال أبو السعود: «(آمنين) من كلّ ما تكرهونه لا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات، أو سيروا فيها آمنين وإن تطاولت مدّة سفركم، وامتدت ليالي وأياما كثيرة، أو سيروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها إلّا الأمن» (بن مصطفى). ولمعرفة عظم هذه النعمة رتّب القرآن الكريم على الإخلال بها، أو محاولة العبث فيها، ونزع شعور الناس بها عن طريق السلب، أو النهب، أو قطع السبل والطرق، عقوبة كبيرة ضارّة صارمة؛ فقال في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ

أَيۡدِيَهُمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿33﴾ ﴾ المائدة.

والآية نوّعت العقوبة وذلك نظرا لفضاعة الجريمة، كما أنّ ظاهر الآية أوكلت الأمر إلى الإمام في اختياره ما يناسب الجرم؛ وهذا ما ذهب إليه الإمام مالك من أنّ الإمام أو الحاكم «مخيّر في الحكم على المحاربين، يحكم عليهم بأي الأحكام التي أوجبها الله تعالى من القتل، والصلب، أو القطع، أو النفي بظاهر الآية» (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن).

وبعض أصحاب الشبه من غير المسلمين ومن تبنى أفكارهم ينظر إلى هذه العقوبة على أنّ فيها نوعا من البشاعة، ونسي الجريمة البشعة وعواقبها الوخيمة لأنّ العقوبة لم تشرع لمجرّد "القتل، وإنما هو على الفساد العام من التخويف وسلب المال" (المرجع نفسه)

3. القيم الكبرى للعملية السياسية في القرآن الكريم

لم يأت الحديث عن السياسة في القرآن الكريم بالتفصيل كما مرّ؛ وإنّما أرست آياته قيما وأخلاقا يمكن الانطلاق منها لبناء نظام سياسي متين، تثمر تلكم القيم انسجاما وتكاملا بين الدولة والمواطن. كما أنّها تخلق جسرا من الثقة يتواصل على أساسه الطرفان؛ وإذا انعدمت هذه القيم فيمكن الخُلوص إلى نتيجة مفادها: أنّ الممارسة السياسة بدون أخلاق وقيم تعدّ خرابا للأمة.

والقيم هي عبارة عن مثل عليا تتصف بالثبات والاستمرار، ويعنى بها في هذا المجال: «المبادئ والقواعد المستمدّة من القرآن والسنة التي تضبط علاقة مؤسسات الحكم ببعضها، وعلاقتها بالأفراد، وتضبط علاقة الدولة بغيرها من الدول».

وفي القرآن الكريم منها الكثير لفظا ومعنى، أحكاما مشروعة وقصصا مذكورة. ولعلّنا نقتصر على بعضها ممّا يعدّ من أمهاتها، وفيما يلي الشروع في الحديث عنها:

1.3 قيمة العدل:

تعدّ قيمة العدل أهم ركيزة حضارية، وقاعدة سياسية في التواصل بين الراعي والراعية، وهي التي جاء القرآن الكريم بتثبيتها، ودعا إلى إقامتها في شتى المجالات. ولمّا كانت هذه القيمة بهذه المنزلة كان النبي ﷺ أوّل المخاطبين بالامتثال فيها؛ فقال تعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ الشورى: 15. وقرنها الحقّ سبحانه بعقيدة الإيمان، وجعل الإخبار بها على لسانه، وجاء الأمر بالعدل مطلقا في الآية ليشمل كلّ العلاقات التي تقام بين أفراد الأمة على اختلاف مشاربهم، وتنوع مستوياتهم ومناصبهم، أو نقول بين طبقات الحكام والمحكومين في أنفسهم وفي العلاقات بينهم؛ لأنّ النبي ﷺ يمثل خليفة الله في أرضه على أمّته، وعدلُه يكون « في تبليغ الشرائع والأحكام، وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام» (تفسير أبي السعود). وفي ميدان العلاقات مع المخالفين يؤكّد القرآن الكريم على أنّها تبنى أيضا على منطق العدل، قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿8﴾ ﴾ الممتحنة. والعدل في التصوّر القرآني قيمة حضارية، ذات نماء وعطاء في الأمة، وسبيل لتبوّئها مركز القيادة؛ كما أنّ مركزيتها في التطبيق والتنزيل هو الحق الذي يحميه العدل لبقائه واستمراره، وإيصاله إلى من يستحقه، ومنها أقيمت مؤسسات العدالة. وتستشف هذه المعاني من قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿181﴾ ﴾ الأعراف. ومن تتبع آيات العدل في القرآن بلفظها

أو معناها، تبيّن له أنها المبدأ والأساس في كلّ المجالات والمعاملات والعلاقات. بل العدل مقصد قرآني هامّ؛ فنجده مقرونا للتطبيق والامتثال بالكلمة، والفصل في الخصومة، والإصلاح في الرعية، وعقود التجارة، وكتابة الدَّين والشهادة، وغيرها من المجالات. ومما سبق يتبين أن العدل هو «إعطاء الحق لصاحبه. وهو الأصل الجامع للحقوق الراجعة إلى الضروري والحاجيّ من الحقوق الذاتية وحقوق المعاملات " (تفسير ابن عاشور (مرجع سابق))

2.3 قيمة الشورى :

تعدّ الشورى عنصراً هاما في مفاصل عملية الحكم كلّه، ولذا أمر به القرآن الكريم القائم على رعاية الأمة، وألزمه أن يشاور أفراد رعيته، لأنها أحسن سبيل لمعرفة الرأي الصواب، بعد طرحه للمناقشة والتحليل وتبادل الآراء. ولقد أمر الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾آل عمران: 158، فالشّورى قاعدة مركزية في العملية السياسية، ولكن يراعى في شكل تطبيقها ظرف الأمة وحالها، لأنّ «الشريعة الإسلامية لم تنصّ على كيفية خاصّة لتحقيق مبدأ الشورى، ومعنى ذلك أنّها تركت تنظيم الشورى للأمّة الإسلامية على النّحو الذي يلائم ظروفها وأحوالها، ويحقّق مقصود الشورى ومعرفة رأي الأمة» (زيدان، 1432هـ،2011م)

ونجد في القرآن الكريم إخبار الله تعالى ملائكته بجعل آدم خليفة في الأرض، وإعلامهم بأمره؛ مع تفضله عليهم وغناه عنهم؛ فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾البقرة: 30. وتدبّر العلماء الآية فاستخرجوا منها هذه القيمة، وجعلوا من إشارات الآية أخذ الشّورى منها. قال الرّازي: « أنّه تعالى علم عباده المشاورة" (الرازي، 1420هـ).

وفي ميدان الامتثال والتطبيق لهذه القيمة نجد القرآن الكريم سجّل مشاورة النبي لأصحابه في مسألة الأسرى في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ الأنفال: 67. وهذا الحكم القرآني صدر بعد عرض النبيﷺ وسماع آرائهم في قضيةٍ ونازلة هامّة، تتعلق بالغزو والجهاد، وهي من الأمور التي يتأكد فيها أمر الشورى باعتبار أنّها تتعلق بسيادة الدولة، ومصيرها. والاستبداد فيها جزء من صنيعة الهزيمة. بقي أن نشير إلى أنّ الرأي الذي أخذ به النبي ﷺ ظاهرُ الآية أنّ فيه عتابا لمقامه الشريف؛ ولكنّ أهل التحقيق من المفسرين بخلاف هذا؛ قال القرطبي: «فالتوبيخ والعتاب إنّما كان مُتَوَجِّهًا بسبب من أشار على النّبي ﷺ بأخذ الفدية. هذا قول أكثر المفسرين، وهو الذي لا يصحّ غيره» (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن).

ويسجل القرآن الكريم مرّة أخرى على أن هذه القيمة هي التي ينبغي أن يقوم عليها عرش الملك، ويتأسس عليها التواصل في مصالح الرعية، ويأتي الحديث في هذا السياق عن مَلِكة سبأ التي قام مُلْكها على الشورى لا على الاستبداد، قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿32﴾﴾ النمل.

ولا يفهم من قولها (حتى تشهدون) أنّ أفراد الأمة كلّهم معنيون بهذه العملية؛ وإنما المقصود: الأعيان والأخيار، ومقدم الجند وغيرهم، لأنه يتعذر على الراعي أو الرئيس مشاورة الأمّة جمعاء؛ فوجب عليه اختيار الأكفاء الصالحين لينوبوا عنها في مصالحها العامّة. ويتأكّد التشاور عند عويص مراحل الأمة وحدوث الأمر الجلل فيها؛ قال الألوسي: «واستُدلّ بالآية على استحباب المشاورة، والاستعانة بالآراء في الأمور المهمّة» (الألوسي، 1415هـ). وعلمتنا هذه الآيات أن الأمر في نهايته بعد الاستشارة يعود إلى أهل

الحل والعقد، أو القائم على شأن الأمّة من الرئيس في زماننا، أو من ينوب عنه؛ لأنّ الجواب الذي أوردته الآية فيه عرضُ حال واقع القوّة، وإمكانات جيشها وترك القرار بيديها؛ فقال تعالى:﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿33﴾ ﴾النمل.

ومن مظاهر الشورى: اتخاذ المستشارين على مستوى هرم السلطة، وفي كلّ المؤسسات، واستهداف أصحاب التخصص في كلّ المجالات، وعرض الأمر على مجالس الشعب وأعضاء الأمّة. كلّ هذا يعدّ شورى. كما أنّ اختيار ممثّل لكل صنف من أصناف المجتمع للتشاور في قضاياه هو من صميم الشورى ذاتها؛ ومن التمثيل في هذا المقام: ما تم القيام به من تأسيس المجلس الأعلى للشباب بموجب المرسوم الرئاسي رقم -21 416 بتاريخ 27 أكتوبر 2021، الذي يحدّد تركيبته ومهامه، حيث اعتبره هيئة استشارية تابعة لرئاسة الجمهورية.

3.3 قيمة النصح

تعد النّصيحة - أو النصح - سمة من سمات التوازن في العلاقة بين الراعي والرعية، وفي المجال السياسي عموما، لأنها لا تتأتّى من طرف واحد فقط، وإنما هي سلوك قويم يتحلى به كلّ الأطراف عند حدوث خلل في مصالح الأمة نتيجة تغليب المصالح الضيقة غالبا. وباعتبار أنّ الجميع بشر، فالخطأ وارد؛ وحظوظ النفس قائمة، وهنا يحتاج المخطئ لتصويبه إلى النصيحة. وللوقوف على حقيقتها وأهدافها نورد جملة من التعريفات:

قال ابن منظور: « والنصح هو إخلاص المشورة ونقيض الغش» (منظور، 1414ه).

قال الرّاغب : « تحرّي فعل أو قول فيه صلاح صاحبه» (الأصفهاني، 1412ه).

قال فخر الدين الرازي: «حقيقة النصح: الإرسال إلى المصلحة مع خلوص النية

من شوائب المكروه» (الرازي أ.، 1401ه).

ابن عاشور : « يكثر إطلاق النصح على القول الذي فيه تنبيه للمخاطب إلى ما ينفعه، ويدفع عنه الضر» (تفسير ابن عاشور).

وبعد إيراد هذه التعريفات والتعليقات على بعض الآيات نخلص إلى مفهوم النصيحة في النقاط التالية:

أ - تعدّ النصيحة جزءا من المشورة لأنها رأي في قالب النصح مسدى إلى من كان به الأولى أن يأخذ به.

ب - النصيحة وسيلة من وسائل علاج الغش، والقضاء عليه.

ت - ضرورة تجرد الناصح وإخلاص نيته، وإرادتُه الخير فيما ينصح به للمنصوح له.

ث - التثبت وتحري الرأي الصحيح والإحاطة بمجال الساحة المنصوح فيها، بغية رأب صدعها وإصلاحها.

ج - النصيحة في نهايتها سدّ خلل واقع وترميم صدع، ودواء جرح ممزق في الأمة.

وأخيرا استصحاب النية والإخلاص واستهداف الخير والصلح؛ وهذا لا يتأتّى بالتهويل والتشهير والسب والشتم والعويل، وإنما بالحوار والتعقل والحجاج بالدليل. وتعدّ هذه القيمة صرحا للتعاون بين الدولة والفرد، وتمكّن الطرفين من إنجازات مهمة ترتكز أساسا على عامل الثقة.

وجاءت النصيحة كمصطلح قرآني في عدة مواضع منه، ونسبت إلى الأنبياء وإلى أتباعهم قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ الأعراف: 62. وعن هود عليه السلام: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝68﴾ الأعراف. فذكرت النصيحة في الآيتين كقيمة زائدة على التبليغ، لأن فيها نوعا من استعطاف القلوب، وحمل المنصوح له على التأمل في الخطاب، وإعطائه المكانة التي يشعر من خلالها بأنه جزء معنيٌّ بعملية التبليغ أو الإصلاح

الواقع في البلد، أو التغيير الذي يُستهدف من خلال هذه العملية. ولمّا كانت النصيحة بهذه المنزلة وبهذا الأثر جعلها الله تعالى كما في الآيتين من مهامّ الأنبياء، ومن صميم أعمالهم. ومن صور النصح للرعية ما يأتي من خطابات أولياء أمور الأمة في المحافل والمناسبات، وعند الفتن والمدلهمات، وغيرها؛ فإنها تصبّ في مجال النصح للرعية التي ربما فقدت معطيات القضية، ولم تكتمل عندها الصورة اللازمة لاتخاذ التصرف والموقف المناسب منها. وفي المقابل كفل الله تعالى الحق للرعية في النصح لراعيها، وللأمة تجاه مسؤوليها، ووصف الله تعالى ما قام به أصحاب الأعذار من خطابهم للنبي ﷺ بأنه نصح لله ولرسوله؛ فقال تعالى في سورة التوبة عن المعذّرين: ﴿ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ التوبة: 91. وقص الله تعالى قصة مؤمن من آل فرعون الذي ألهمه الله رشده، وهيأه لإنقاذ نبي الله موسى فنصحه بالخروج، وكذلك كان الأمر. قال الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿20﴾ ﴾ القصص.

4.3 قيمة العفو

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ يوسف: 92. وهذه الآية تؤسس لمبدأ العفو في الأمة، واتخاذه وسيلة من وسائل علاج أحوال طوائف في المجتمع بما يناسب أخطاءهم، ويعدّ العفو إجراءً لإعفاء المحكوم عليهم من الالتزام بتنفيذ العقوبات ضدّهم. ومما يمكن أن تُنزّل عليه الآيات ما جرى من العفو الشامل الذي أقرته الدولة الجزائرية بعد عشرية

دموية سوداء، وهو الميثاق من أجل السلم والمصالحة الذي زكاه الشعب الجزائري يوم 29/09/2005م. وأثبت فعاليته من خلال النتائج التي حقّقها على أرض الواقع، وممّا يؤكد نجاحه خلوّ المجتمع بعد استتباب أمنه من تصفية الحسابات، وسلوك الانتقامات.

5.3 قيمة الحرية

يمكن الانطلاق للحديث عن هذه القيمة من قول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾آل عمران: 35. وهذه الكلمة عند المفسّرين مأخوذة من الحرية التي هي ضد العبودية؛ فلم تُرد امرأة عمران أن يكون تحت سلطة العبودية المانعة له من ممارسته عبادته وتقييد استقلاليته، لأنّ الحرية يعنى بها أن يكون أمر الإنسان موكولا لإرادته، ليس لأحد عليه تعلق (ناقرو، 2020).

ومجالات الحرية التي جاءت في القرآن الكريم كثيرة منها: الحرية في الاعتقاد والتفكير، والتعبير والعمل. وكلها مقيدة بضوابط عدم الإضرار بالآخرين، وعدم التجاوز أو الإخلال بالنظام العام للبلد. ففي ميدان الاعتقاد ابتداء فإنّ الحرية لا تنفك عن الاختيار؛ فيخاطب الله جنس الإنسان بقوله: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿3﴾ ﴾الإنسان. وفي آية أخرى أيضا يقول: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿10﴾ ﴾البلد.

ومبدأ الشورى السابق الذكر لا يتحقق إلا بمبدأ الحرية في التفكير والتعبير معا، وهذا هو المجال السياسي الذي تستهدفه آيات الشورى وسورة الشورى التي جاءت بهذا الاسم، حيث تعددت موضوعاتها، ولكنها مرتبطة بعضها ببعض؛ ومنها موضوع الإيمان ويتعلق بالاعتقاد والتفكير، وموضوع آيات الكون ويتعلق بها العمل، والشورى ويتعلق بها

التفكير، وغيرها مما جاء فيها. وجاءت النصوص كفيلة بحرية عمل الإنسان في إطار ما ينفعه، ويحفظ حياته، ومنها قوله تعالى: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿15﴾ ﴾ الملك.

وفي الآية اختيار العمل وحرية التملك، من خلال السعي في الأرض والضرب فيها؛ باعتبار أنّ كسب المال بوجهه وحفظه بحقه من الكليات التي جاءت الشريعة لحفظها. وهذا ما رسمته سياسات الدول في عرضها لمختلف الأعمال، وترك الاختيار فيها لأصحابها؛ ويدخل في هذا أيضا التخصصات المهنية فإنها ضمن حرية الاختيار. وهذه القيمة ثمينة لمرونتها والعمل باستصحابها إلا أنها مقيدة بالتوازن بينها وبين حرية الجماعة والأمة أيضا؛ وإلا عاث الأفراد فسادا باسم الحريات كما يحلو للبعض اليوم من خلال تصرفاتهم، وتصريحاتهم عبر وسائط التواصل الاجتماعي.

خاتمة

يمكن استخلاص عدة نتائج من خلال عرض الموضوع السابق، وهي كما يلي:

- لم تتحدث آيات القرآن الكريم عن المجال السياسي؛ ولكن وردت فيه ألفاظ ومصطلحات قرآنية تشير إلى أصول النظام السياسي، وقواعده، وقيمه، وأخلاقه.
- إنّ قواعد سياسة الملك هي التي تحدد المعايير والأساليب في السياسات المختلفة للتعامل معها.
- استهدفت التوجيهات القرآنية الكمال في محاسن الخصال خلال الممارسة السياسية، مع اقتران ذلك كلّه بالأمانة والعفة، والعلم بتدبير الأمور؛ لأن ذلك أدعى لتسيير شؤون المجتمع.

- ضرورة إرساء مبدأ التعاون والتكافل بين أفراد الأمة، وفي العلاقة بين الراعي والرعية ساعة الحاجة والوقوف بالنفس إلى جانب القائمين على شأن المجتمع.
- الحديث عن الأرض وما فيها من خيرات ومنافع كثير في القرآن الكريم، والحكمة من ذلك لفت الانتباه إلى الاشتغال على إصلاحها، واستخراج كنوزها، وبناء اقتصاد الدولة منها.
- إن القيم السياسية التي أرساها القرآن الكريم تثمر انسجاما وتكاملا بين الدولة والمواطن؛ كما أنّها تخلق جسرا من الثقة يتواصل على أساسه الطرفان معا.
- مبدأ الشورى لا يتحقق إلا بمبدأ الحرية في التفكير والتعبير معا؛ وهذا هو المجال السياسي الذي تستهدفه آيات الشورى من سورة الشورى وغيرها.

قائمة المصادروالمراجع

أبو الحسن الحسني وآخرون، التّفسير السّياسي للقرآن: دراسة في المبادئ المعرفية، ترجمة وائل علي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي- بيروت، ط:01، 2018.

- أبو الحسن، علي بن محمد الماوردي(ت :45ه)، تسهيل النظر وتعجيل الظفر، في أخلاق المَلِك وسياسة المُلْك، تح: د/محي هلال السرحان(ت: 1446ه). دار النهضة العربية – بيروت، ط: 1401ه-1981م.
- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982 ه)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت ج7.
- أبوعبد الله محمد بن عمر الرازي(ت: 606)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 3. 1420ه، ج2 .
- أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:3، 1420. ج25.
- أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت:) الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط:3. 1384ه، 1964م، ج9 .
- أبو يعلى الزواوي، جريدة البصائر: ، ط: وزارة الثقافة، عدد: 6/ ج4.
- جمال الدين بن منظور (ت: 711ه)، لسان العرب ، ج 2 ، دار صادر ، بيروت .
- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت:1270ه). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تح: علي عبد الباري

عطية، دار الكتب العلمية – بيروت. ط:01، 1415هـ.ج8 .

- عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرّسالة ناشرون، ط: 01، 1432هـ/2011م .
- عبد الوهاب خلّاف، السّياسة الشرعية ، دار القلم، ط: 1988م.
- محمد البشير الابراهيمي، جريدة البصائر، ط: وزارة الثقافة، عدد: 1/ ج7.
- محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير الدار التونسية للنشر – تونس، ط: 1984.
- المفردات للراغب الاصبهاني (ت: 502هـ)، مادة نصح، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط:01 / 1412هـ.
- مي بنت محمد صالح ناقرو، مفهوم الحرية وأصولها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية. مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، كلية الآداب، جامعة كفرالشيخ - مصر، العدد الثاني والعشرون، يناير 2020م.

توجيه الذكاء الاصطناعي في أخلقة الحياة العامة من خلال الهدي القرآني

بقلم: المهندس . محمد الأمين بونمرة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، جعل العلم أساسا لرقي الأمم وسمو الحضارات، وحث على السعي له ببذل الطاقات والقدرات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرشد الإنسانية إلى منهج الحياة السوية، ودعا للتعلم ونبذ الأمية، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، وعلى كل من اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين، أما بعد،

قد شاء اللهُ -تعالتْ حِكْمَتُهُ- أن يُصدِّرَ وَحْيَهُ الخاتمَ لِبَنِي الإنسَانِ بأمرٍ خاصٍّ، وفرضٍ جليلٍ هُوَ «فَرْضُ القِراءَةِ» عليهم، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَۖ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍۖ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡۚ ٥﴾ العلق، وكأنَّهُ - سبحانه وتعالى- بِهذا التَّصدِيرِ قد جعل عمودَ الإسلامِ وأسَّ دعوتِهِ قائمةً على القراءةِ والعلمِ.

وفي خضم التّطوّر التّكنولوجيّ المتسارع، أصبح الذّكاء الاصطناعيّ (Artificial Intelligence) جزءًا لا يتجزأ من حياتنا اليوميّة، سواء في مجال الرّعاية الصّحيّة أو الأعمال التّجاريّة أو التّعليم أو النّقل أو حتّى التّواصل الاجتماعيّ، بل تغلغل في الحياة السياسيّة والنّظم الحكوميّة.

إلاّ أنّ هذا التّقدّم يصاحبه تحدّياتٌ أخلاقيّة جوهريّة يجبُ مُعالجتها. ممّا يستوجب علينا طرح عدّة تساؤلاتٍ حول مدى تأثيره على المجتمع والقيم الإنسانيّة، وأنا أريد من خلال هذه التساؤلات تحفيز الفكر والعقل للنظر والتفكر في الموضوع، وهي دعوة لسادتي الأساتذة والباحثين إلى إثراء مجال الدراسات ومزاحمة البحوث الغربية الغزيرة مسترشدين في ذلك بالهدى القرآني وتعاليم سنة خير البشر وسيرته العطرة ﷺ:

- هل يمكن للتّكنولوجيا المتقدّمة أن تتوافق مع المبادئ الأخلاقيّة والدّينيّة؟
- كيف يمكن توجيه هذا التّطوّر الرّقمي نحو الاستخدام الأخلاقيّ المسؤول؟
- ما هي الضّوابط الأخلاقيّة التي يجب وضعُها لتطوير واستخدام هذه التّكنولوجيا؟
- هل يمكن للذّكاء الاصطناعيّ أن يكون أداةً للخير؟

ولا شكّ أنّ القيم المستنبطة من الهدي القرآنيّ تقدّم لنا إطارًا أخلاقيًّا عامًّا وشاملاً -شموليّة هذا الدّين- يمكن الاعتماد عليه لتوجيه استخدام وتطوير الذّكاء الاصطناعيّ، بما يعود بالفائدة العميمة على الخلق أجمعين، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ الأنبياء. سألقي الضّوء على بعض تطبيقات الذّكاء الاصطناعيّ وإسقاطاتها على القيم الأخلاقيّة القرآنية، من خلال سبعة محاور أساسية.

وقبل أن ألج إلى صلب موضوعنا، لابدّ من التّطرّق إلى بعض التّعريفات الهامّة:

- الذّكاء الاصطناعيّ (AI): هو فرع من علوم الحاسوب، يهدف إلى تطوير أنظمةٍ قادرةٍ على أداء مهامٍ تتطلّب ذكاءً بشريًّا، مثل: التّعلم،

اتّخاذ القرارات، والتّعرف على الصوت والصور. يتمّ تصنيف الذّكاء الاصطناعيّ إلى نوعين رئيسين:

الذّكاء الاصطناعيّ الضّيّق (Narrow AI): وهو الذي يتمّ تصميمه لأداء مهامّ محدّدة مثل: قيادة السّيارة أو تحليل الصّور الطّبيّة.

الذّكاء الاصطناعيّ العامّ (General AI): وهو الذي يمتلك القدرة على التّفكير والتّعلم بطريقة مشابهة للعقل البشري، وهذا النّوع لا يزال في مراحل البحث والتّطوير.

التّعليم الآليّ (Machine Learning): هو أحد فروع الذّكاء الاصطناعيّ، ويعتمد على تطوير خوارزميّات تُمكّن الأجهزة من التّعلم من البيانات والتّجربة دون أن تكون مبرمجة مسبقًا لكلّ حالة.

الشّبكات العصبيّة الاصطناعيّة (Artificial Neural Networks): هي نماذج حاسوبيّة مستوحاة من بنية الدّماغ البشريّ، تُستخدم في تعلّم الأنماط من البيانات، وتعتبر أساس العديد من تطبيقات التّعلّم العميق (Deep Learning).

الخوارزميّات (Algorithms): هي مجموعة من التّعليمات والقواعد التي تستخدمها الحواسيب والأنظمة لتنفيذ المهام. الخوارزميّات يمكن أن تكون بسيطة مثل العمليّات الحسابيّة، أو معقّدة مثل التّعرّف على الأنماط.

التّحيّز الخوارزميّ (Algorithmic Bias): يشير إلى الظّاهرة التي تجعل أنظمة الذّكاء الاصطناعيّ تّتخذ قرارات متحيّزة وغير عادلة بناءً على البيانات التي تتعلّم منها، وهو ما يمكن أن يؤدّي إلى تمييزٍ عنصريّ أو اجتماعيّ.

1. تعزيز العلم لخدمة البشريّة

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿114﴾﴾ طه.

يحث القرآن الكريم على العلم والتّعلّم لخدمة البشريّة. تطبيقات الذّكاء الاصطناعيّ في مختلف مناحي الحياة كالرّعاية الصّحيّة، التّعليم، والتّكنولوجيا البيئيّة يمكن أن تحقّق نُقلة نوعيّة في تحسين جودة الحياة.

تقرير صادر عن «PwC - Price wate rhouse Coopers" [وهو مكتب بريطاني لديه شبكة عالمية متخصص في التدقيق والاستشارات المالية]، في 2020 أشار إلى أنّ الذّكاء الاصطناعيّ قد يُساهم في زيادة النّاتج المحليّ الإجماليّ العالميّ بنسبة تصل إلى 14 % بحلول عام 2030، ما يعادل 15.7 تريليون دولار.

ويُتوقع أن يشهد الذّكاء الاصطناعيّ في المستقبل القريب تطوّرًا هائلًا في المجالات الطّبيّة، حيث تشير التّوقّعات إلى أنّ الذّكاء الاصطناعيّ قد يُسهم في علاج الأمراض المستعصية مثل: السّرطان والأمراض العصبيّة. مجلة «نيتشر» [هي مجلة دورية علمية أسبوعية بريطانية] في 2023 ذكرت أن أنظمة الذّكاء الاصطناعيّ ساعدت في تسريع اكتشاف أدويةٍ جديدةٍ بنسبة 40 % مقارنة بالطّريقة التّقليديّة.

أيضًا، يعمل الذّكاء الاصطناعيّ على تعزيز العلم في مختلف المجالات. على سبيل المثال، تقوم الأنظمة المتقدّمة على تحليل كميّات ضخمة من البيانات البيئيّة لتقديم حلولٍ للحدّ من تأثيرات تغيّر المناخ، ما يجعل الذّكاء الاصطناعيّ أداةً رئيسيّة في الحفاظ على كوكب الأرض.

المحور الثّاني: العدالة والإنصاف في أنظمة الذّكاء الاصطناعيّ

يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ النحل.

ويقول عزّوجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ النساء.

يدعو القرآن الكريم إلى تحقيق العدالة في جميع المعاملات. في مجال الذّكاء الاصطناعيّ، لابدّ من توخّي الحذر في كيفيّة جمع البيانات واستخدامها، لضمان أن الخوارزميّات تعطي قرارات عادلة وغير متحيّزة.

في دراسة أجراها «معهد ماساتشوستس للتقنية - MIT" [جامعة كامبريدج] بين 2018 و2020، أظهرت أنّ أنظمة التّعرّف على الوجه المستخدمة من طرف الشّرطة الأمريكيّة كانت أكثر دقة في التّعرّف على الوجوه البيضاء (دقّة تصل إلى 99 %) مقارنة بالوجوه السّوداء (دقّة تصل إلى 65 %) أي أنّ معدّل الخطأ أعلى بنسبة 30 %. هذا النّوع من التّحيّز قد يؤدّي إلى تطبيقات غير عادلة في مجالات متعلّقة بالأمن أو التّوظيف.

ومثال آخر في الولايات المتّحدّة، حيث طُبّقت خوارزميّات الذّكاء الاصطناعيّ في اتّخاذ القرارات القضائيّة المتّعلّقة بالإفراج المشروط، ومع ذلك، واجهت هذه الأنظمة انتقادات بسبب التّحيّز العرقيّ ضدّ الأقليّات. استجابة لذلك، تم تطوير نماذج جديدة تركّز على تقليل التّحيّزات من خلال تحسين جودة البيانات المستخدمة، وضمان أن تكون التّوقّعات أكثر عدلاً وشموليةً.

من المتوقّع أن تتحسّن تقنيّات الذّكاء الاصطناعيّ بشكل ملحوظ في معالجة التّحيّزات، من خلال تطوير

خوارزميّات قادرة على اكتشاف وتصحيح التّحيّزات الموجودة في البيانات وتحليل التّأثير الاجتماعيّ لها.

تعمل المؤسّسات البحثيّة الآن على تقديم طرق لزيادةِ الشّفافيّة والمساءلة في الأنظمة الخوارزميّة، بحيث يتمّ ضمان العدالة في جميع القرارات.

2. الرّحمة والإنسانيّة في تصميم الذّكاء الاصطناعيّ

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ الأنبياء.

الرّحمة تُعتبر أحدُ المبادئ القرآنيّة الأساسيّة، ويمكن تجسيدها في تصميم أنظمة ذكاءٍ اصطناعيّ تُعنى بتحسين الرّفاه الإنساني، مثل الرّوبوتات المساعدة في المجال الطبيّ.

بحسب تقريرٍ صادرٍ عن «منظّمة الصّحّة العالميّة»، يُتوقع أن يكون هناك نقص عالميّ في القوى العاملة الصّحيّة يبلغ حوالي 18 مليون شخص بحلول عام 2030. هنا يأتي دور الذّكاء الاصطناعيّ لتعويض هذا النّقص، من خلال تطوير أنظمة قادرة على تقديم الرّعاية الصّحّيّة للمسّنين والمرضى.

ومن المتوقع أن يشهد العقد القادم زيادةً كبيرةً في استخدام الذّكاء الاصطناعيّ في مجال الرّعاية الصّحّيّة، مع تقنيات مثل «الطبيب الافتراضي» و «الروبوتات المساعدة». هذه التقنيات ستحافظ على إنسانيّة الرّعاية الصّحّيّة من خلال تخصيص الاهتمام الشّخصيّ لكلّ مريض، مع تقليل الضّغط على الأطباء والممرّضين. وكمثال واقعيّ على ذلك، هو استخدام الرّوبوتات في اليابان لرعاية كبار السّنّ. هذه الرّوبوتات لا تقدّم فقط دعمًا في المهام اليوميّة، ولكنّها صُمّمت لتوفير الرّفقة وتقليل الشّعور بالعزلة، وشركات مثل IBM تستخدم الذّكاء الاصطناعيّ في منصّتها «Watson» لتحليل الملايين من المقالات الطّبيّة وتقديم خيارات علاج أكثر دقّة.

3. التّعاون والشورى ودور الذّكاء الاصطناعيّ في الحوكمة الإلكترونيّة

يقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿2﴾﴾ المائدة.

ويقول سبحانه:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى: 38.

العديد من الدّول تعتمد على الذّكاء الاصطناعيّ لتحسين عمليّة صنع القرار الحكوميّ، وتبادل الأفكار في اتّخاذ القرارات. ففي الأنظمة الحديثة، تُعتبر الاستشارة جزءًا من الحوكمة التّشاركيّة، حيث يُشرِك صنّاع القرار جميع الأطراف المعنيّة في هذه العمليّة.

في إستونيا، على سبيل المثال، تُستخدم أنظمة الحوكمة الإلكترونيّة التي تعتمد على الذّكاء الاصطناعيّ من أجل تنظيم وتنسيق الخدمات الحكوميّة بطريقة أكثر فعاليّة وشفّافة. كما يتمّ استخدام مساعدات افتراضيّة مدعومة بالذّكاء الاصطناعيّ لتقديم الدّعم للمواطنين والردّ على استفساراتهم، ممّا يُسهّل وصولهم إلى المعلومات.

هذه الأنظمة تسمح بتفاعل المواطنين مع الحكومة بشكل مباشر، وتعزّز من مشاركة المجتمع المدني في صنع القرار.

4. الشفافية والصدق والأمانة في الذكاء الاصطناعي

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ النساء: 58.

ويقول سبحانه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿119﴾﴾ التوبة.

تعتبر الشّفافيّة من المبادئ الأساسيّة لضمان أنّ أنظمة الذّكاء الاصطناعيّ تعمل بطريقة موثوقة وغير مضلّلة. يجب على المستخدمين معرفة كيفيّة اتّخاذ القرارات وكيفيّة استخدام البيانات.

دراسة أجرتها «Gartner" [هي مؤسسة أمريكية متخصصة في الاستشارات والبحث في مجالات التقنية المتقدمة] في 2021 أشارت إلى أنّ 75 % من الشّركات العالميّة التي تستخدم الذّكاء الاصطناعيّ تعاني من صعوبةٍ في تحقيق الشّفافيّة في أنظمتها الخوارزميّة. كما أظهرت دراسة أجرتها «جامعة هارفارد» أنّ 70 % من المستخدمين يعبّرون عن مخاوفهم بشأن كيفيّة اتّخاذ القرارات في أنظمة الذّكاء الاصطناعيّ.

من المتوقّع أن تشهد السّنوات القادمة تطوّرًا كبيرًا في أدوات الشّفافيّة مثل «الذّكاء الاصطناعيّ القابل للتّفسير» (Explainable AI)، وهو فرع من الذّكاء الاصطناعيّ يسعى لجعل عمليّات اتّخاذ القرار الخوارزميّة أكثر وضوحًا وفهمًا للمستخدمين. وفي الواقع، بدأت بعض الشّركات بتطبيق سياسات «الصّندوق الأبيض» (White Box) للذّكاء الاصطناعيّ، التي تتيح للمستخدمين فهم كيف تتّخذ الخوارزميّات قراراتها. أيضًا، يمكن أن يتمّ إدراج قوانين تفرض معايير للشّفافيّة في كلّ نظامِ ذكاءٍ اصطناعيّ يُستخدم في الشّؤون العامّة، بما في ذلك القطاعات الحكوميّة والماليّة.

5. المسؤوليّة والمحاسبة في تطوير واستخدام الذّكاء الاصطناعيّ

يقول الله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿95﴾﴾ مريم.

المسؤوليّة والمحاسبة هي قيم جوهريّة في الهدي القرآني، حيث يتم التّأكيد على أنّ كلّ فرد يجب أن يتحمّل المسؤوليّة عن أفعاله. في سياق الذّكاء الاصطناعيّ، يجب أن يكون هناك نظامٌ واضحٌ لمحاسبة المطوّرين والشّركات على الأخطاء أو الأضرار التي قد تنتج عن أنظمة الذّكاء الاصطناعيّ.

تقرير من «Accenture» [شركة أمريكية متخصصة في الاستشارات، تضم أكثر من 738 ألف موظف موزعين على

120 دولة] أشار إلى أنّ 47 % من المدراء التّنفيذيّين يعتبرون أنّ الشّركات غير مستعدّة بما يكفي لمواجهة المسؤوليّات القانونيّة والأخلاقيّة المتعلّقة بالذّكاء الاصطناعيّ. ففي عام 2018، أظهرت حادثة «سيارة أوبر» [أوبر تكنولوجيز - Uber، شركة أمريكية متخصصة في تأجير السيارات] ذاتيّة القيادة التي تسببت في وفاة أحد المشاة، أهميّة وجود إطار واضح للمسؤوليّة والمحاسبة. كانت هذه الحادثة نقطة تحوّل في النّقاش حول ضرورة وضع لوائح صارمة لتحديد من يتحمّل المسؤوليّة عند حدوث خطأ تقنيّ.

سيكون هناك تطوّر في اللّوائح القانونيّة والتّشريعات التي تنظّم الذّكاء الاصطناعيّ، بهدف فرض مزيدٍ من الشّفافيّة والمساءلة.

من المحتمل أن نشهد قوانين دوليّة جديدة تحكم استخدام الذّكاء الاصطناعيّ في مجالات مثل: الأمن، الرّعاية الصّحّيّة، والقيادة الذاتية.

6. الاستدامة وحماية البيئة

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ الأعراف: 56.

من الضّروريّ استخدام الذّكاء الاصطناعيّ في تطوير تقنيّات تقلّل من التّأثير البيئي السّلبي، مثل تحسين كفاءة استهلاك الطّاقة، فعلى سبيل المثال، طوّرت شركة «Google» أداةً تستخدم الذّكاء الاصطناعيّ لتقليل استهلاك الطّاقة في مراكز البيانات الكبيرة، ما أسهم في تقليل انبعاثات الكربون بشكل كبير. كما تمّ تطوير أنظمة ذكاء اصطناعيّ تساعد في مراقبة الأنشطة البيئيّة والتّنبؤ بتغيّرات المناخ، مثل استخدام الذّكاء الاصطناعيّ في مراقبة إزالة الغابات في أمازون.

7. التّحذير من الطّغيان وتجاوز الحدود

يقول الله جل شأنه: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝6 أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝7 ﴾ العلق.

أحد أبرز التّحدّيات المستقبليّة هو تطوير تقنيات الذّكاء الاصطناعيّ التي قد تُستخدم بشكلٍ يتجاوز الحدود الأخلاقيّة والإنسانيّة.

ففي الصّين أثارت تقنيّة التّعرف على الوجه المستخدمة من طرف الحكومة مخاوف كبيرة بشأن انتهاك الخصوصيّة واستهداف الأقليّات العرقيّة، مثل مسلميّ الإيغور.

وبحسب تقرير «المنتدى الاقتصادي العالمي» لعام 2022، من المتوقّع أن يؤدّي الذّكاء الاصطناعيّ إلى فقدان حوالي 85 مليون وظيفة بحلول عام 2025، ممّا يبرز الحاجة إلى تنظيمه لضمان ألاّ يؤدّي إلى تفاقم التّفاوت الاجتماعيّ.

يجب أن يتمّ توجيه هذه التّقنيّة بحيث تُستخدم لتعزيز التّنمية الاجتماعيّة وليس العكس. من خلال وضع سياسات تدعّم التّوزيع العادل للتّكنولوجيا، يمكننا تجنّب تفاقم الفجوة الاقتصاديّة بين الدّول الغنيّة والفقيرة، والعمل على بناء مستقبلٍ يتّسم بالتّوازن بين الابتكار والأخلاق.

8. بعض توظيفات الذكاء الاصطناعي

يمكن التعريج على ميادين توظيف الذكاء الاصطناعي بالنسبة لقطاع الشؤون الدينية والأوقاف، هذا القطاع الذي يشرف على مؤسسات منتشرة في ربوع الوطن فلا يكاد يخلو حي من مؤسسة مسجدية بالإضافة إلى ديوان الحج والعمرة وديوان الأوقاف والزكاة ومجلة العصر.

- فيمكن استخدام هذه التكنولوجيا بقوة في مجال الدعوة إلى الله ونشر تعاليم ديننا الحنيف، وتقديم الاستشارات

والفتاوى الشرعية الصحيحة وفق مرجعيتنا الدينية.

- وضع منظومة متكاملة لإدارة نشاطي الحج والعمرة تعمل على خدمة هذه الشعيرة وتقديم الأفضل لحجاج بيت الله الحرام.

- استغلالها في مجال إدارة الأوقاف وتنمية الزكاة وما لهذا الأمر من تأثير إيجابي على الفرد والمجتمع واقتصاد الدولة.

- المساهمة في نشر البحوث والدراسات وإثراء المكتبة الشرعية بأطروحات تستجيب لتحديات العصر وتستشرف المستقبل.

- الخاتمة

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة: 143.

الاستقامة، الوسطيّة والاعتدال، منهج رباني يشمل كافة مناحي الحياة دون استثناء، إنّ توجيه الذّكاء الاصطناعي وفقًا للهدى القرآني لا يمثّل فقط خيارًا أخلاقيًا بل ضرورة إنسانية ومجتمعية. فتسخير الذّكاء الاصطناعيّ بشكل يخدم البشريّة من خلال تعزيز قيم: العدالة، الرّحمة، الشّفافيّة، والمساءلة، سيؤدّي إلى مستقبل أفضل وأكثر استدامة. إنّ هذا الاستشراف ليس بعيد المنال، بل يمكن تحقيقه إذا تمّ العمل عليه بكل مسؤوليّةٍ ووعيٍ.

ختامًا، فإنّ الذّكاء الاصطناعيّ يمثّل أداةً قويّةً يمكن أن تُستخدم بشكلٍ إيجابيّ أو سلبيّ، والتّوجيه القرآني يمكن أن يكون دليلًا لنا لضمان أن يكون هذا الاستخدام مسؤولًا وأخلاقيًا، متجاوزًا

الحدود التّكنولوجية لصالح الإنسانيّة جمعاء.

قائمة المصادر والمراجع

- أساسيات الذكاء الاصطناعي كيفن واريك، ترجمة: هاشم أحمد محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013م.
- أصول الذكاء الاصطناعي، خالد ناصر السيد، مكتبة الرشد، الرياض، 1425 هـ.
- تكنولوجيا الشبكات العصبية الاصطناعية، عبد الحميد بسيوني، دار الكتب العلمية، 1425 م القاهرة.
- الحاسبات الآلية وتشغيل المعلومات، روبرت سترن، نانسي سترن، تعريب: سرور علي سرور، عاصم الحماحمي، دار المريخ، الرياض، 1413 هـ.
- حق الابتكار في الفقه الإسلامي، فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1404هـ.
- الذكاء الاصطناعي والأنظمة الخبيرة، جهاد عفيفي، دار أمجد للنشر، الأردن، 2015 م.

شواهد الاستماتة في استرجاع السيادة الوطنية المستلبة
- طلبة المعهد الباديسي أنموذجا -

بقلم: د. حمزة بوروبة - إمام خطيب أول

ملخص:

هذا البحث يتناول شواهد من استماتة الشعب الجزائري من أجل استرجاع الحرية المستلبة، وبذل النفس والنفيس من أجل حياة العزَّة والكرامة وطرد المحتل الفرنسي الغاشم الذي مارس حرب الإبادة الجماعية على كل ما هو جزائري، وخاصَّة ممن كان لهم شرف التعلم والارتواء من معين القرآن والسنة النبوية وعلوم الشريعة من تلاميذ المدارس القرآنية، وطلاب ابن باديس ورفاقه، فقد حفظ التاريخ لهم بطولات ومآثر بلغت مناكب الجوزاء، ولا تنمحي مهما طال الزمان وتعاقب الملوان.

الكلمات المفتاحية: الوطن، التضحية، الحرية، ابن باديس، الشهداء.

مقدمة:

الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ومن لا غنى به طرفةَ عين عن رحمته، وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

لعمري لقَد خط العلى بالبواتر

على صفحات المجد شعبُ الجزائر

إن من الأيام الغرر الغوالي في تأريخ جزائر العزة والكرامة هو الخامس من شهر جويلية من عام 1962م، حيث إنه بقي شامة في جبينها ماضيا وماحيا لتأريخ

فرنسا الأسود في هذه البلاد، ومعلنا عن ميلاد فجر جديد لهذه الأمة كانت ترقبه منذ أمد ومن كل فج، وإيذانا برجوع السيادة لأهلها ممن روَّض الأسود في هذه الأرض الطاهرة المحمية بالله والمسقية بدماء الشهداء ورجالها الأمناء والأصلاء.

نعم إنها أمَّة حية عزيزة غُرست فيها معاني الإباء والشهامة والرجولة والتدين الصحيح، لا تقبل الضيم ولا ترضى بالذل والهوان، وأيام التاريخ على هذا شاهدة منذ أن وطئ الاستدمار هذه الأرض وهم في نفير ومقاومة ومقارعة لهذا المحتل الدخيل الكافر بدءا من القائد الأمير عبد القادر إلى المقراني والزعاطشة؛ إلى ثورة الأوراس؛ إلى جهاد أبناء ابن باديس رحمه الله إلى الثورة التحريرية المباركة الغراء التي ألقت فيها الجزائر بفلذات كبدها من المليون ونصف مليون شهيد.

نعم لقد قدم رجالنا الشرفاء النفس والنَّفيس، بذلوا أرواحهم أموالهم أعراضهم من أجل العز التليد، وضربوا لنا أروع الأمثلة وأزكى البطولات في سبيل الله والوطن، رغم قلة العدد والعدة، فلم يُثن عزمهم عدد عدو ولا عدة من ذخيرة وسلاح، بل كلما سمعوا هيعة طاروا إليها، لسان حالهم كما قال شاعر الثورة مفدي زكرياء، (زكرياء، اللهب المقدس، 2007):

نحـن ثرنا فـلاتَ حيـن رجـــوعٍ

أونَـنالَ استقلالَنا المنشودا

يا فرنسا أمطـــري حديداً ونارا

واملئي الأرض والسماء جنودا

واحشُري في غياهب السجن شعبا

سِيمَ خسفاً، فعاد شعباً عنيدا

فكانت نتيجتها استقلال البلاد واسترجاع السيادة الوطنية، وبقيت هذه البطولات تُروى وتُتلى للأجيال، ونقشًا في الذاكرة مهما طال الزمان وتعاقب الملوان.

- **إشكالية الموضوع**

يريد الباحث أن يكشف عن أسئلة مفادها:

ما هي حجم تضحيات أبطال الجزائر أثناء حرب التحرير الوطني؟

وما هي إسهامات طلبة المعهد الباديسي

في جهاد الجزائر، وما هي صوره ومظاهره؟

وما هي دلائله وشواهده؟

- **الهدف من البحث**

- بيان عظمة الثورة وقيام الجهاد في الجزائر رغم قلة العدد والعدة.

- تظهير أثر طلبة العلم في إنجاح المسار الجهادي، وشواهد ذلك في واقع ثورة التحرير.

- بيان حجم الأثر الأكبر لجمعية علماء المسلمين وطلبتهم وتلاميذهم في تعبئة الشعب الجزائري لمقارعة المحتل الفرنسي الغاشم، وتذكيره بالواجب الشرعي والوطني تجاه قضيته المقدَّسة.

وقد تناولت الموضوع في تمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة.

1. من شواهد الاستماتة في استرجاع الحرية المستلبة لأبناء الجزائر

ماذا أحدِّث عن الشواهد؟ ما أكثرها وأجلها لا توجد بقعة إلا وفيها بطولات وروايات كل واحدة تحدِّث عن نفسها بأنه لا مثيل لها، فسل الشَّلعلع والونشريس، وسل الشَّرق الذي شرقَ به الاستدمار الفرنسي والحلف الأطلسي، وسل الغربَ الذي غربت فيه شمس العدو المحتل، وسل الصحراء ورمالها الذَّهبية عن بطولات ذوي النفوس الأبية.

لقد كان أبناء الجزائر وقودا للثورة التحريرية المباركة، بذلوا أنفسهم في سبيل الله عزوجل من أجل تحرير الوطن من براثن الاستدمار والرجس الفرنسي، وبقيت مآثرهم ومفاخرهم تتلى وتروى على الأجيال، وبطولات شهد بها العدو قبل الصديق.

لقد خاض جيش التحرير الوطني معارك ضارية ضد العدو، وهي كثيرة جدا، قدَّم فيها أبناء الجزائر أرواحهم رخيصة في سبيل الله عزو جل، ومن أجلِّ هذه المعارك والشواهد:

- معركة (الجرف الشهيرة) في سبتمبر سنة 1955م، وتُسمَّى بـ(أم المعارك)، والتي استُشهد فيها حوالي سبعون

مجاهدا، وخمسة عشر جريحا، وأما الخسائر في جانب العدو فكانت ثقيلة جدا وصل فيها عدد القتلى إلى أكثر من سبعمائة جندي، وحوالي 350 جريح، وأسقطت فيها ثلاث طائرات وغير ذلك من خسائر العدو، (ملاح، محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر، 2012). و (مداسي، 2011).

- ومنها: معركة (واد الشوك) أو (سوق أهراس) والتي جرت وقائعها في 26 أفريل سنة 1958م، وقد امتد لهيبها أسبوعًا كاملا، استخدمت فيها فرنسا كلَّ والوسائل وحشدت كل القوات البرية بمختلف أصنافها ممن شارك في الحرب العالمية الثانية، وسلاح الجو وطوَّقت المجاهدين من كل جانب، وخلف ظهورهم خطوط النار (خط شال)، فما كان من المجاهدين الأشاوس إلا النصر أو الشهادة في سبيل الله. وكانت نتيجة المعركة ثقيلة على المجاهدين حيث إنه استشهد فيها حوالي 700 مجاهد، ومئات الجرحى، ومن الجانب الفرنسي حوالي 300 جندي وتدمير طائرتين، وعدد من الآليات والمدرعات، (للمجاهدين، من معارك المجد في أرض الجزائر).
- ومنها: معركة (جبل شلية) بوحمامة، في جوان سنة 1958م، والتي سقط فيها أكثر من 80 شهيدا، وعشرات من الجرحى، وأسفرت عن خسائر فادحة للعدو الفرنسي (للمجاهدين، من معارك المجد في أرض الجزائر).
- ومنها: معركة (جبل تركي) بأوراس النمامشة، في أوت سنة 1957م، والتي استشهد فيها أكثر من 60 مجاهدا، وجرح العشرات منهم، قاتلوا فيها بضراوة وشجاعة منقطعة النظير، وأسفرت عن مقتل أكثر من 400 جندي فرنسي، وإسقاط أربع طائرات، وعدد الجرحى فيها لا يُحصى (للمجاهدين، من معارك المجد في أرض الجزائر).
- ومنها: معركة (المحمل) بالأوراس (قصباية، 2017.

- ومنها: معركة (فرغوس أكبَّاش)، أكتوبر 1960م (نوفمبر، 1994.
- ومنها: عملية (أرياج الجهنمية) التي استهدف فيها الاستدمار الغاشم قادةَ الأوراس، والتي ضحى فيها رجالنا بلا حدود (زبيري، 2008).

وغيرها من المعارك الكثيرة التي خاضها أبطال الجزائر، وهي بالمئات بل بالآلاف.

ونخلص في هذا المطلب إلى ما يلي:

1. شجاعة وبسالة رجالنا المجاهدين ورباطة جأشهم، وقوة الشكيمة لديهم، وطلب الشهادة والتضحية في ميادين الوغى، واقتحام غمرات الحروب، فهم أحق الناس بقول الشاعر:

علو في الحياة وفي الممات
لحق أنت إحدى المعجزات

2. أنَّ النصر لا يقارن بالعدد ولا بالعدة، بل بالإيمان والعمل الصالح، ورغم قلة عدد المجاهدين وعُدَّتهم إلا أنهم خلَّفوا بطولات بقيت شامة في تأريخ الجزائر، ومصداقا لقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿249﴾﴾ **البقرة.**

3. عظمة هذه التضحيات وكثرتها، فقد ضحى رجالنا بكل شيء من أجل السيادة الوطنية والعيش في ظلال الحرية والاستقلال.

2. طلبة المعهد الباديسي في عمق الثورة التحريرية

1.2 غرس ابن باديس رحمه الله

لقد غرس ابن باديس ورفاقه في أبناء الأمة الجزائرية معاني الدين والإباء والشهامة والاعتزاز بالهوية، فكان كثير منهم وقودا للثورة التحريرية المباركة جمع الله لهم بين الجهاد بالسيف والسنان والجهاد بالعلم والحجة والبرهان، ومآثرهم في الباب لا تُحصر.

وقد أجملَ العلَّامة الشيخ البشير الإبراهيمي قيمة هذا العمل الجاد من صديقه العلامة ابن باديس رحمه الله

بقوله: (وحَسْبُه من المجد التاريخي؛ أنه أحيا أمَّة تعاقبت عليها الأحداث والغِيَر، ودينا لابسته المُحْدَثات والبدع، ولسانا أكلته الرَّطانات الأجنبية، وتاريخًا غطَّى عليه النسيان، ومجدا أضاعه ورثةُ السوء، وفضائل قتلتها رذائل الغرب.

وحَسْبُه من المجد التاريخي؛ أن تلامذته اليوم هم جنود النهضة العلمية، وهم ألسنتها الخاطبة، وأقلامها الكاتبة، وهم حاملو ألويتها، وأن آراءه في الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي هي الدستور القائم بين العلماء والمفكرين والسياسيين، وهي المنارة التي يَهتدِي بها العاملون، وأن بناءه في الوطنية الإسلامية هو البناء الذي لا يتداعى ولا ينهار) (الإبراهيمي، 1997).

لقد كان الشيخ ابن باديس يرى ويؤمن بأنَّ خلاص الجزائر من براثن الاستدمار لا يكون إلا بالجهاد والقوة، وأنَّ ما أُخذ بالقوة لا يُسترجع إلا بالقوة، وقد سُئل مرَّة من أحد طلابه كيف الخلاص من الاستعمار الفرنسي يا سيدي؟ فقال: من هنا يكون الخلاص، وأشار إلى الجبال) (قسوم، 2017).

وقد سعى ابن باديس وبكل ما أُتيح له من الوسائل من أجل تحقيق هذا المبتغى الأسمى، فوجد أنَّ أعظم شيء يُقدمُه لأبناء أمته أن يعلِّمها وأن يرفع عنها حجاب الجهل والأمِّية للرجال والنساء وللصغار والكبار، فبذل النفس والنفيس لتربيتها على أخلاق الإسلام؛ لأنه أعظم سبب للحفاظ على مقومات الأمة الجزائرية وصانعُ مجدها وهويتها، فقام مع إخوانه بفتح المدارس وتأسيس النوادي، وإنشاء المجلات، والكتابة في الصحافة، والسياحَة في ربوع الوطن للتعليم والتعارف، وقد وفقه الله مع رفاقه بتأسيس جيل يؤمن بالجهاد، ويسعى لكي تعيش الجزائر حرة أبية تسترجع أمجادها وعزَّها المسلوب.

وبهذه التضحية والعمل الجاد المتكامل فقد خرَّج ابن باديس أمَّة من طلبة العلم بعده أكرمهم الله بالجهاد بالسيف والسنان، وبالعلم والحجة والبرهان فجمعوا بين الحسنين، وكان كثيرٌ منهم وقودا للثورة التحريرية المباركة. (العسيلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة التحريرية، 2010).

2.2 طلبة المعهد الباديسي في عمق الثورة التحريرية.

تأسس المعهد الباديسي في قسنطينة سنة 1947م، على يد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، استكمالا لمتطلبات التعليم الثانوي لطلبة الجمعية، وهو استمرار لمعهد الجامع الأخضر مع تطور في الإدارة والتجهيز وأساليب التعليم، وقد توافد إليه الطلبة من كل مكان من ربوع الجزائر ، وقد وصل عدد الطلبة الذين التحقوا به إلى حوالي ألف طالب في إحدى السنوات، ولما علمت السلطات الفرنسية بخطورته وأنه قاعدة خلفية للجهاد في الجزائر قامت بغلقه سنة 1957م. (الإبراهيمي، 1997)، و (الدين، 1985).

وقد التحق كثير من طلبة المعهد الباديسي بقسنطينة بالثورة التحريرية المباركة، ولبَّوا نداء الجهاد والكفاح، توافقا مع ما يفرضه عليهم الواجب الديني والوطني، وصدِّ عادية الإستدمار الفرنسي الذي أهلك الحرث والنسل، وأفسد في الدين والدنيا.

ومن الشهادات المهمة في هذا الباب ما كتبه أحد طلاب المعهد الباديسي بقسنطينة، والضابط المجاهد في صفوف جيش التحرير الوطني، (أبو بكر مسعودي) . رحمه الله . الذي وافته المنية سنة 2002 م.

وهي عبارة عن قائمة حرر فيها عددا كبيرا من الأسماء ممن كان يُزوال دراسته في معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس، وكتب الله له الالتحاق بجيش التحرير الوطني، أرسلها إلى تركي رابح عمامرة في الجزائر بتاريخ 12 ذي الحجة 1419 هـ الموافق لـ 29 مارس 1999م، حيث إنَّه يؤرخ فيها سنة الالتحاق بمعهد الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله، وكان ذلك في السنة الدراسية 1952 – 1953م، وامتدت الدراسة فيه ثلاث سنوات؛ قبل الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1955 م.

وقد أحصيت عدد ما ذكره هو في رسالته فكان المجموع (206) طالب مجاهد، أكثرهم استشهد في ساحات الوغى وميادين

الشَّرف والجهاد، ومن هؤلاء الطلبة على سبيل المثال من (الأوراس):

- محمد الشريف عباس
- عبد المجيد عبد الصمد (شهيد)
- المنور بوراس
- عبد المجيد شعباني (شهيد)
- عبد الكريم بن مشيش
- محمد الصالح يحياوي
- شنوفي محمد
- رحموني عبد العزيز (شهيد)
- بودوح السبتي
- قانة عبد الحميد
- سعادة علي (شهيد)
- بالخير الوردي (قاضي الولاية شهيد)
- زغدار السعدي (شهيد)
- بن عاشور عبد الله (شهيد)
- غبروري مبارك (شهيد)
- مازوزي إبراهيم (ضابط الأول)
- داودي الصالح (شهيد)
- غنام عبد الحميد
- بخوش محمد (شهيد)
- بن حركات محمد (شهيد)
- بوكرشة الصادق (شهيد)
- درنوني أمحمد (شهيد)
- حابة محمد بن إبراهيم (شهيد)
- عاشور نقودة (رائد)
- درنوني عمار (شهيد)

وغيرهم كثير.

وأما من ولاية بسكرة فمنهم:

- شعباني محمد (عقيد)
- محمد الصادق دبابش
- أبو بكر مسعودي (ضابط أول)
- محمد الطاهر مسعودي
- أحمد شاذلي (شهيد)
- عبد الحميد حوحو
- نور الدين الصيد (شهيد)
- محمد الصغير سلمي (شهيد)
- عبد القادر قريد (شهيد)
- سلطاني عمر (شهيد)

- بلعيد إبراهيم (شهيد)
- عبداوي عبد الرحمن (شهيد)
- زروق الهاشمي (شهيد)
- بغتاتو صالح (شهيد)
- باي إسماعيل (شهيد)
- عبد الباقي نور الدين (شهيد)
- حفناوي أحمد (شهيد)
- بوكالة الطاهر (شهيد)
- أحمد إبراهيم (ضابط الثاني نقيب)
- معلم عمار (شهيد)
- ضحوة محمد (شهيد)
- أحمد رويجع (شهيد)
- أمعمر محمد الطاهر
- بكاري عبد الكريم (شهيد)

وغيرهم كثير.

وأما الطلبة من ولاية خنشلة فمنهم:

- شرفي محمد الطاهر
- آدمي بشير
- سعودي محمد
- خلاف عبد الله بن محمد
- قعقاع رابح
- عمارة زيتون (ضابط)
- خلاف عبد الله بن المحبوبي (شهيد)
- خلاف البشير بن سليمان (شهيد)
- شرفي الأمير
- زاهري أمحمد (شهيد)

وهذا العدد غيضٌ من فيض؛ وإلا فإنَّ المجاهدين الذين التحقوا بالثورة التحريرية من طلبة المعهد الباديسي ثم الزيتونة طلبا للجهاد والشهادة في سبيل الله كثير.

وأما ما يتعلق بالمدرِّسين والمعلمين في المعهد الباديسي، فقد دفعوا ثمن تضحيتهم ووقوفهم مع جيش التحرير الوطني، فمنهم من نال شرف الشهادة في سبيل الله منهم:

- رضا حوحو كاتب العام للمعهد استشهد سنة (1956م)

- الشّيخ العربي التبسي مدير المعهد استشهد سنة (1957م)
- أحمد بوشمال مدير المطبعة الجزائرية الإسلامية، استُشهد سنة (1958م)

ومنهم من دخل السجن، من أمثال:

- أحمد حماني
- محمد الصالح بن عتيق
- الجيلالي الفاسي

حمزة بوكوشة. (حداد، 2012).

ومنهم: طلبة تخرَّجوا من المعهد الباديسي ثمَّ التحقوا بجامع الزيتونة لمواصلة طلب العلم، فبعضهم أكمل مساراته الدراسية، وبعضهم انقطع والتحق بالثورة وأسند إخوانه المجاهدين، وأعرف جماعة منا ممن حكى قصته وما حصل لهم من المحن عند عبور الخطوط الجهنمية للعدو، (درياس، 2018).

ومن الشواهد في هذا الباب ما وقفت عليه في ترجمة أحد قضاة جيش التحرير الوطني بالولاية الأولى بالمنطقة الأولى وهو: (محمد بن أحمد درياس)، وفيه أنه من طلاب وخرّيجي المعهد الباديسي، الذي التحق به سنة 1951م، فمكث هناك أربع سنوات إلى أن تحصَّل على الشهادة الأهلية سنة 1955م، ثم توجَّه بعدها مع رفاقه في الدراسة وهم: (محمد بن عمر درياس، دارجي سايح، لعرابة الباهي. عيسى العابد، دوادي صالح)؛ إلى تونس لإكمال الدراسة بجامع الزيتونة، ودرسَ هناك سنتين، ومع الاتصال الدائم بمكتب جبهة التحرير الوطني قرر هو ورفاقه الالتحاق بالثورة وتلبية داعي الجهاد والوطن، فقرر مكتب جبهة التحرير الوطني تجنيدهم، فخرجوا إلى أرض الجزائر مسرعين وهم: (محمد بن أحمد درياس، محمد بن عمر درياس، عيسى العابد، دوادي صالح).

وكانت عملية اجتياز الخط الجهنَّمِي المكهرب (خط شال) كفاحا وجهادا في حد ذاته.

وقد تجاوز اثنان منهم الخطَّ الجهنمي بسلام وهما (دوادي صالح، وعيسى العابد)،وأما (محمد بن عمر) فقد رجع لمرضه، وأما هو (محمد بن أحمد درياس)؛ فقد أُلقي عليه القبض من الفرنسيين وكُشف من حراس الحدود، وقد تخلص من كل الوثائق التي كانت بحوزته، واستعمل خُطة للنجاة بأنه ليس جزائري الأصل وإنما هو من تونس من جربة، فنقل إلى سجن بقسنطينة، وحُوكم هناك ، ولكنه لم يغيِّر من أقواله شيئا، فانطلت عليهم الحيلة وُحكم عليه بالنفي إلى مدينة سطيف، ومن مدينة سطيف فرَّ من الثكنة إلى (جبال بوطالب) عند المجاهدين مقر القسمة الرابعة، واتصل بقيادة الجيش فعيَّنوه بعدها قاضيا للناحية الأولى بالمنطقة الأولى بالولاية الأولى، إلى أن استشهد سنة 1960م، وله من العمر ثلاثون عاما، وهو في عز شبابه وغوالي أيامه (درياس، 2018).

فهذا شاهد من شواهد عمل أولئك الطلاب الكرام الذين أكرمهم الله عز وجل بالجهاد بنوعيه جهاد الحجة والعلم والبرهان، وجهاد السَّيف والسنان.

لهم هـمم سمَت فوق الثريَّا

بها شَـادوا لنا حِصنا حصينا.

3. مظاهر إسهامات طلبة المعهد الباديسي في الثورة التحريرية

ويظهرلنا من خلال ما ذكرناه أنَّ إسهامات طلبة المعهد الباديسي في الثورة كانت متعدد المظاهرمنها:

أولا: الجهاد في سبيل الله والتضحية من أجل استرجاع السيادة الوطنية، فقد كان الكثير منهم وقودا للثورة التحريرية مجنَّدين مع إخوانهم في سبيل الله ورفع راية (الله أكبر).

ثانيا: لقد تولَّى الكثير من طلبة المعهد الباديسي مناصب عُليا أثناء الثورة التحريرية، من أهمها منصب القضاء، وهو منصب حسَّاس تُبنى عليه كثير من الأحكام المتعلقة بالمجال العسكري والمدني، ونظرا لأن المرجعية للشعب

الجزائري وللثوّار كانت هي الشريعة الإسلامية فقد كان القضاء يستمد أحكامه من تعاليم الإسلام، وهي المهمة التي أوكلت لهم فقاموا بها دون غيرهم بحكم تخصُّصهم العلمي في العلوم الشرعية عموما، والفقه الإسلامي خصوصا.

وكان عملهم في جل المحاكم سواء كانت محاكم مدنية أو محاكم عسكرية (غربي، 2009).

ثالثا: تقلُّد الرتب السامية، فقد كان بعضهم من كبار القادة والضبَّاط في صفوف جيش التحرير الوطني، لما تميزوا به من روح التضحية في سبيل الله، والحنكة السياسية، والذكاء الوقاد، وتحمل المسؤولية، من أمثال:

- العقيد محمد شعباني
- محمد الصالح يحياوي
- محمد الشريف عباس
- عبد المجيد عبد الصمد
- أحمد إبراهيم (عين زعطوط)
- أبو بكر مسعودي

وغيرهم كثير من هذا الصنف في قيادة جيش التحرير الوطني.

رابعا: الوعظ والإرشاد الديني، وتذكير المجاهدين ورفع معنوياتهم القتالية، وتذكيرهم بواجب الوقت، إما النصر أو الشهادة في سبيل الله، والفوز في الدارين، ولم يتخلف عن هذا الواجب طلاب المعهد الباديسي، نظرا لطبيعة ما تعلموه في الإسلام من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن الشواهد في هذا الباب ما ذُكر في قرارات اجتماع قادة المنطقة الأولى بالولاية الأولى، من ختم المجلس بنصائح وإرشادات قاضي المنطقة (ساعد بن سديرة) والذي استشهد في أكتوبر سنة 1961م، بعد الاجتماع بيومين، وهو من طلاب المعهد الباديسي، حيث إنه ختم مجلس الاجتماع (بنصائح وإرشادات

قيِّمة كانت كلها نورا وهدى، خاصة وقد تخللتها آيات من الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف، وختم كلمته بحياة الجزائر حرة مستقلة) (المسعود، 1961م).

خامسا: إسناد الثورة من خلال العمل الفدائي، ونقل الرسائل، والتموين لمراكز الجيش، وتعبئة المواطنين معنويا للمساهمة في إنجاح الثورة ودعم المجاهدين، والمرابطة على ثغور التعليم القرآني والوعظ الديني في كل مكان من ربوع هذه البلاد المباركة.

وبالجملة فقد أدى كثير من طلبة المعهد الباديسي دورهم على أكمل وجه أثناء الثورة التحريرية وأسهموا بقوة في تحرير الوطن واسترجاع حريته وسيادته، وطرد المحتل الدخيل؛ لعلمهم بأن هذا من الواجبات المقدسة التي لا يجوز التخلف عنها.

خاتمة

نخلص إلى ما يلي:

1. معرفة قيمة هذا الاستقلال، الذي سماه الشيخ البشير الإبراهيمي: (معجزة الدهر وأعجوبة الزمن)، وعظمة العيش في ظلال الحرية والكرامة والعزة والشرف.

2. تذكير الأجيال ببطولات رجال الجزائر الذين كانوا في قمَّة التضحية والبذل والشجاعة، والإيمان المطلق بقضية وطنهم المقدَّسة، والفخر بمآثر أبطالنا وأجدادنا، ومعرفة عظمة وقَدر المشاق التي تحمَّلوها في سبيل الله، والدفاع عن حياض الوطن.

3. تذكير الأجيال بضرورة الوقوف على الرجس وخبث الاستدمار والمحارق التي بقيت شاهدة على غطرسته وظلمه، وإفساده في هذه البلاد على كل المستويات (مستوى الدين، مستوى اللغة، مستوى الأنفس، مستوى الاقتصاد، مستوى الاجتماعي، مستوى العرض، وبث

الفرقة والاختلاف وإثارة النعرات بين الجزائريين).

4. حضور أبناء جمعية علماء المسلمين الجزائريين ورجالها في دعم وإسناد الثورة التحريرية المباركة، وأثر طلبة المعهد الباديسي في جهاد الجزائر بما حباهم الله من العلم النافع والعمل الصالح، فقد كان منهم المجاهد الجندي، والقائد الفذ، والضابط المحنك، والقاضي الشرعي، والواعظ المرشد، والمعلم الصابر، فهم بمثابة جدار الصد ضد عاديات الاستدمار الفرنسي ماديا ومعنويا.

توصيات

ومن الواجب على جيل الاستقلال:

1 - إقامة كل ما له صلة بتعريف الأجيال بمفاخر رجالنا من خلال الملتقيات والمحاضرات والكتابات في مختلف وسائل الإعلام والتواصل.

2 - كتابة تاريخ هذه الأجيال، وتدعيم البحوث والدراسات المتعلقة بحرب التحرير، وخاصة من طلاب الجامعات والدراسات العليا.

3 - السعي إلى المحافظة على المكاسب والمآثر وإعمار البلاد علميا وثقافيا وفكريا والرقي بها إلى ذرى المجد والعز في الدين والدنيا.

هي الشَّمس إن تغرُب فهذي طلوعها
وكائن يسرُّ النفس ما قد يروعها
أتاحت لنا الذكرى لقاء بصَادق
من الفخر لا تخفيه عنا دموعها
به رجعت لنا من سالف الدَّهر ليلة
وأحسَن عادات الليالي رجُوعها
والله الموفق لكل خير والعاصم من كل ضير

قائمة المصادر والمراجع

- الطاهر زبيري، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين، منشورات ANED، 2008م.
- بسام العسيلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة التحريرية، دار الرائد والنفائس، بيروت (1432 هـ، 2010م).
- عبد الرزاق قسوم، الفكر السياسي عند عبد الحميد بن باديس بين الإنصاف والإجحاف والاحتراف، https://binbadis.net/./2017 archives/1936.
- عبد المالك حداد، طلبة معهد الشيخ ابن باديس بقسنطينة في جيش التحرير الوطني، 2012م، https:// binbadis.net/archives/635.
- عمار ملاح، محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر 1954م، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، 2012م.
- محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم د/ أحمد طالب الإبراهيمي، دار الوعي، الجزائر، ط1 (1997م).
- محمد العربي مداسي، مغربلوا الرمال الأوراس النمامشة 1954 ـ 1959م، المؤسسة الوطنية للاتصال، رويبة، 2011م.
- محمد الوردي قصباية، مذكرات مجاهد من الأوراس خلال ثورة أول نوفمبر 1954 . 1962م، دار علي بن زيد، بسكرة، ط1 (2017م).
- محمد غربي، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية،

جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، العدد الأول، 2009م.

- مفدي زكرياء، اللهب المقدس، موفم للنشر، الجزائر 2007م.
- الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، من إعداد: جمعية أول نوفمبر، (1994م).
- محمد خيرالدين، مذكرات، مطبعة دحلب الجزائر، 1985م.
- من معارك المجد في أرض الجزائر، منشورات مجلة أول نوفمبر، د. ت.ط.
- يوسف درياس، نبذة من حياة الشهيد محمد بن أحمد درياس، مخطوط عندي نسخة منه.
- مسعود بن عبيد، وثيقة اجتماع قادة الأوراس بالمنطقة الأولى بالولاية الأولى أكتوبر 1961م، نسخة بخط اليد.

دور الوقف في التعارف والتعايش بين الأمم والحضارات

بقلم: العارف محمد أمين
بجامعة وهران 1 "أحمد بن بلة"

ملخص البحث:

فقه التعارف والتعايش بين الشعوب يعتبر من أهم ركائز استقرار المجتمعات، وله دور كبير في تقارب الأمم ونمو الحضارات، خاصة في عصرنا الحالي الذي تتعدد فيه المذاهب والأديان وتختلف فيه التوجهات الفكرية، والذي يعتبر مبدأ مفطورة عليه البشرية. وقد حث الإسلام على التعارف والتعايش بين المسلمين وغيرهم، وذلك على أسس محكمة قائمة على تبادل الاحترام والمعارف والمصالح من أجل إعمار الأرض وإقرار السلام مع الإبقاء على الهوية والخصائص الإسلامية.

ومن أكثر الطرق الّتي تعزّز التعارف والتعايش بين المسلمين وغيرهم هو تشريع نظام الوقف الإسلامي. ومنه تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور النظام الوقفي الإسلامي في تعزيز سبل التعارف والتعايش بين الأمم والحضارات، وذلك بذكر ماهية الوقف على غير المسلمين، وإبراز الركائز الأساسية للوقف الإسلامي في المجتمعات غير الإسلامية التي قد تكون جسور تواصل فيما بينهم، وكذلك ببيان مصارف الوقف الإسلامي في المجتمعات غير الإسلامية الّتي من شأنها أن تعزّز التعايش بين المسلمين وغيرهم.

الكلمات المفتاحية:

الوقف - التعارف - التعايش - الأمم - الحضارات.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه الأبرار، وأزواجه الطاهرات، ومن اتبع سبيلهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين أما بعد:

فإن التعارف والتعايش بين الشعوب يعتبر أحد أهم أسس استقرار المجتمعات، وله الدور الكبير في تعزيز التقارب بين الأمم وتطوير الحضارات، لا سيما في عصرنا الحالي الذي تتعدد فيه الأديان والمذاهب وتختلف فيه التوجهات الفكرية. مما يستلزم التقارب والتحاور، لذا فقد حث الإسلام على التعارف والتعايش بين المسلمين وغيرهم، وذلك على أسس محكمة قائمة على تبادل الاحترام والمعارف والمصالح، من أجل إعمار الأرض وإقرار السلام مع الإبقاء على الهوية والخصائص الإسلامية.

ومن أكثر الطرق التي تعزّز التعارف والتعايش بين المسلمين وغيرهم هو تشريع نظام الوقف الإسلامي، وعليه جاءت أهداف هذه الدراسة لبيان هذا الأثار في واقع المسلمين وغيرهم.

وعليه جاءت خطة البحث في تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، حيث عرجنا في التمهيد على التعريف بمصطلحات الدراسة، أما المبحث الأول فتناولنا فيه مشروعية الوقف على غير المسلمين وأهمية البحث في أحكامه، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه الأسس العامة للوقف الإسلامي على غير المسلمين وأثره في تحقيق التعارف والتعايش، أما المبحث الثالث فتناولنا فيه مصارف الوقف الإسلامي في المجتمعات غير الإسلامية وأثره في تحقيق التعارف والتعايش، ثم الخاتمة في الأخير حيث تناولنا فيها أهم النتائج والتوصيات.

1. التمهيد

قبل التطرق إلى مباحث الدراسة ينبغي التعرف على المتغيرات التي تقوم عليها الدراسة، فنبدأ أولا بمصطلحي

التعارف والتعايش ثم مصطلحي الأمم والحضارات في المطلب الأول، ثم نقوم بتعريف الوقف لغة واصطلاحا في المطلب الثاني، ثم بيان مشروعية الوقف عموما في المطلب الثالث.

1.1. تعريف عنوان البحث

1.1.1 مفهوم التعارف والتعايش

أ. مفهوم التعارف

مفهوم التعارف لغة: ورد في كتاب "مقاييس اللغة" لابن فارس ما يلي: الْعَيْن وَالرَّاء وَالْفَاء: لَهُمَا أَصْلَان صَحِيحَان، يُفِيدُ أَحَدُهُمَا دَلَالَةً عَلَى تَتَابُعِ الشَّيْءِ بِشَكْلٍ مُتَّصِلٍ، وَالثَّانِي عَلَى السَّكِينَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ (الرازي، صفحة 4/ 282)

يقول ابن منظور في «لسان العرب»: العرفان يعني العلم، فيقال عرَفه يُعرِّفه عِرفانًا وعَرَفة ومعرفة. يُقال عن الرجل إنه عَروف إذا كان عارفًا بالأمور ولا ينكر أحدًا قابله سابقًا. أما العريف والعارف فلهما نفس المعنى، مثل عليم وعالم. ويقال: تعرّفت ما لدى فلان، أي بحثت حتى عرفت. كما يُقال تعارف القوم إذا عرف بعضهم بعضًا. العريف هو القيّم أو السيد، لمعرفته بسياسة القوم، وهو أيضًا النقيب الذي يكون أقل مرتبة من الرئيس. الجمع عُرَفاء، وهم المسؤولون عن شؤون القبيلة أو الجماعة. المعروف هو ضد المنكر، والعرف ضد النكر، والمعروف يعني الإنصاف وحسن التعامل مع الأهل والناس. (الأنصاري، صفحة 10/ 111)

نستخلص من هذه التعاريف اللغوية أن مادة «عرف» تتنوع في معانيها وتشمل عدة وجوه، مثل: الطيب، العالم، العليم، السيد، القيّم، الحاجز، الاعتراف، الإقرار، النقيب، الرئيس، والتعارف... وغير ذلك.

مفهوم التعارف اصطلاحا: يذهب الدكتور زكي الميلاد إلى أن مفهوم التعارف يتقارب أو يتجاور مع مفهوم التواصل في الإطار المعرفي، حيث يشير التواصل إلى التفاعلية التواصلية، أي تجاوز الذات أو فلسفة الذات للوصول إلى بناء المعرفة

والتعارف مع الآخر. لكن هناك فرق جوهري بين المفهومين؛ فمفهوم التواصل يرتبط بحقل المعرفة وعلاقته بالعقل، بينما يرتبط مفهوم التعارف بحقل الاجتماع، مما يجعله مرتبطًا بالمجتمع والجماعة والناس.(الميلاد، 2013)

وقد أشار حسن الباش إلى أن «التعارف مبدأ إسلامي وإستراتيجية لمستقبل الإنسانية، حيث نفهم تماماً دور الرسالة الإسلامية الإنسانية، وهو دور مستمر لا ينقطع، مستمد من روح القرآن الكريم ومن تدبير خالق الكون والأكوان كافة. إن دعوة القرآن للتعارف تهدف إلى إيجاد القواسم المشتركة بين البشر، وتعتبر تنبيهاً واضحاً لهذا الإنسان ليدرك أولاً طبيعته العقلية والنفسية، ثم طبيعته الإنسانية الشاملة، وأخيراً دوره في الاستخلاف وتعمير الأرض. (حسن، 2005م، صفحة 14)

من خلال الشرح السابق يظهر أن التعارف يعتبر قيمة أصيلة تستند إلى القرآن الكريم، وهي تعكس الطبيعة المدنية والاجتماعية للإنسان، الذي لا يمكنه العيش منعزلاً عن الآخرين. كما يبين ذلك صاحب كتاب منهج التعارف بأن أمة الإسلام ترتكز على التعارف بين أجناس البشر، ولكنها تعي تمامًا كيفية تحقيق هذا التعارف. فالتعارف هو حوار بين العقول والنفوس، وحوار حول التوجهات والتحديات، حيث يستمع الأطراف لبعضهم البعض، ويحترمون الآراء والمعاناة والتوجهات، دون مصادرة لآراء الآخرين أو فرض وجهات النظر. في حين تدعو أمة الإسلام للتعارف والحوار، فإنها تحرص أيضًا على الحفاظ على هويتها التي اختارها الله سبحانه وتعالى لها، دون أن تذوب أو تتنازل عن سماتها" (حسن، مناهج التعارف في الإسلام، 2005، صفحة 8).

إذن التعارف هو الانفتاح على الغير من خلال وسائل متعددة من أجل التواصل معهم، وتبادل المعلومات والمنافع مع المحافظة على الهوية الإسلامية.

ب. مفهوم التعايش

مفهوم التعايش لغة: بالعودة إلى الدلالة اللغوية لكلمة "التعايش»، والتي هي الأساس في اشتقاق هذا المصطلح، نجد في «المعجم الوسيط» أن «تعايشوا» تعني: عاشوا في ألفة ومودة، ومنه مصطلح «التعايش السلمي». و«عايشه» تعني عاش معه، والعيش يعني الحياة. والمقصود هنا هو الحياة المشتركة على هذه الأرض بين جميع بني آدم دون تفرقة، حيث يعكس الاشتراك في الحياة بروح من الألفة والمودة. ويأتي الفعل على وزن «تفاعل»، الذي يشير إلى وجود علاقة متبادلة بين الطرفين. (عم، 2008، الصفحات 1583 - 1584)

مفهوم التعايش اصطلاحا:

التعايش اصطلاحا: تجمع مجموعة من الناس في مكان واحد، حيث يشتركون في وسائل العيش الأساسية مثل الطعام والشراب، وأساسيات الحياة، دون النظر إلى الدين أو الانتماءات الأخرى. في هذا السياق، يكون لكل فرد معرفة بحقوقه وواجباته، دون أن يندمجوا أو يذوبوا تمامًا في بعضهم البعض. وهذا النوع من التجمعات يتنوع بأشكال متعددة. (السيف)

من المصطلحات الحديثة التي نالت اهتمامًا متزايدًا هو "التعايش السلمي". وفقًا للمعنى اللغوي، يشير وصف "السلمي" إلى طبيعة التعايش التي تميزها عن غيرها من أنواع التعايش غير السلمي، حيث كان يستعمل بين الأفراد والمجموعات، ثم انتقل هذا المصطلح إلى المجال السياسي، خاصة في الدول الحديثة التي تقوم على التنوع الديني، حيث تنجم عنه صراعات ونزاعات. اليوم، أصبح التعايش السلمي مطلبًا دوليًا في ظل الصراعات العالمية والدولية. في هذا السياق، يُعتبر مصطلح التعايش السلمي شعارًا سياسيًا بديلًا للعلاقات العدائية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة. ومع ذلك، لا يوجد مانع من توسيع استخدام هذا المصطلح

في العلاقات الاجتماعية بين أتباع الديانات المختلفة، خاصةً في الدول التي يقطنها أشخاص من ديانات متعددة. (السوفيتي، صفحة 210)

وعرّف الدكتور يسْرَى وجيه السعيد التعايش السلمي بقوله: "هو تفاعل متبادل بين طرفين مختلفين في العادات أو المعتقد والدين، ويكون في المجتمعات المتنوعة الديانات أو الثقافات الّتي ينتمي أفرادها إلى أصول مختلفة في الثقافة أو الدين أو العرق"(السعيد، 2019). إذن فالتعايش السلمي لا يوجد بين الدول فقط وإنما يكون بين الشعوب أيضا، وهنا تظهر أهميته وضرورته، إذ أنّ دافع السلم كدافع الحرب سواء ليس له علاقة دولة ما بدولة أخرى، وإنما بصورة أدق علاقة الشعوب بعضها ببعض، (شاتلية، 1981، صفحة 5) ومنه فإن التعايش السلمي يشمل ما يلي (الجمالي، 2020) : وبناءً على ذلك، فإن التعايش السلمي يتضمن ما يلي: التعايش بين أفراد الديانة الواحدة، والتعايش بين أتباع الديانات المختلفة، والتعايش بين الدول ذات التوجهات السياسية المختلفة، وكذلك التعايش بين القوى الاجتماعية المتنوعة.

ج. مفهوم الأمم: ةمأ عمجم ملأا

مفهوم الأمة في اللغة: ورد لفظ (أمّة) في معاجم اللّغة العربية بمعان عدّة بلغت حوالي ثمانية عشر معنى، فقد جاء في كتاب العين: "اعلم أن العرب تطلق على كل شيء يجمع ما يحيط به ويضمّه اسم ‹أم›... ومن ذلك أم الرأس، وهو الدماغ. وكل من كان على دين واحد مخالفا لسائر الأديان، فهو أمّة على حدة، وكل قوم نسبوا إلى نبيّ وأضيفوا إليه فهم أمّته.. وقد يجيء في بعض الكلام أنّ أمّة محمد ﷺ هم المسلمون خاصة، وجاء في بعض الحديث: أنّ أمّته من أرسل إليه ممن آمن به أو كفر به، فهم أمّته في الاسم لا في الملّة" (أحمد، صفحة 428)، "بمعنى أنّهم مقصودون بالدعوة

لا المتبعون لها فهؤلاء المتبعون هم الأمّة الإسلامية بمعنى أنّهم مقصودون بالاتباع" (الكفوي، 1992، صفحة 176). "وكل جيل من النّاس أمّة على حدّة، وكل جنس من السباع أمّة، كما جاء في الحديث: {لولا أنّ الكلاب أمّة من الأمم لأمرت بقتلها كلّها فاقتلوا منها كل أسود بهيم} (داود، 2009، صفحة 107)" (أحمد، كتاب العين ، صفحة 428).

وجاء في لسان العرب أوجه عديدة لمعنى أمّة إضافة لما سبق: منها أمّة الله: خلقه، والأمّة: الجنس من كل حي، والحين، والملك والنعمة، والرجل الجامع للخير، والعالم، والقوم، والجماعة والطاعة والقامة والوجه وأمّة الطريق وأمه: معظمه، والأمّة: القرن من الناس وجمعها أمم (الأنصاري، لسان العرب، 1994، صفحة 101). وجاء في تهذيب اللغة أنّ أصل مادة (أمّة) من القصد قال: "وأصل هذا الباب كله من القصد، يقال: أَمَمْتُ إليه إذا قصدته، فمعنى الأمّة في الدين، أنّ مقصدهم مقصد واحد" (محمد، 2001، صفحة 635). وفي معجم مقاييس اللغة قال: "وأمّا الهمزة والميم فأصل واحد، يتفرع منه أربعة أبواب، وهي: الأصل والمرجع والجماعة والدين، وهذه الأربعة متقاربة، وبعد ذلك أصول ثلاثة وهي: القامة والحين والقصد" (الرازي، معجم مقاييس اللغة ، 1979، صفحة 21).

وهذا يعني أن لفظ (أمّة) ليس محصوراً في أصل واحد، وهو القصد، كما أورده الأزهري في تهذيب اللغة عن أبي عمرو الشيباني، وإنما القصد أصل واحد أو باب واحد من سبعة أصول أو أبواب لغوية كما ذكر ابن فارس.

مفهوم الأمة في الاصطلاح:

لقد اختلف العلماء والمفكرون والباحثون في تحديد مصطلح (الأمّة) في البحث، وذلك لاختلاف دلالتها المتنوعة، وسنذكر بعض نماذج من تعريفات الأمة فيما يتعلق بالحضارة الإسلامية:

عرّفها الراغب الأصفهاني بقوله: "الأمّة: كل جماعة يجمعهم أمر واحد، أو زمان واحد أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أو اختياراً، وجمعها أمم" (الأصفهاني، 2009، صفحة 86).

وعرّفها البغوي بقوله: "وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد، فجعلت الشريعة أمّة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد" (البغوي، 1989، صفحة 151).

وعرّفها سيد قطب بقوله: "هي الجماعة الّتي تنتسب إلى عقيدة واحدة من كلّ جنس ومن كلّ أرض" (قطب، 1978، صفحة 117).

وعرّفها فاروق الدسوقي بقوله: "الأمة – حسب المصطلح القرآني – هي جماعة من الناس تؤمن بعقيدة واحدة، وتعيش بمنهج حياة واحد وبعبارة واحدة، هي جماعة تدين بدين واحد" (الدسوقي، 1986، صفحة 122)، ثم يواصل الشرح بقوله: "ولا يهم بعد ذلك أن تتمثل هذه الأمة في عدد قليل من الناس، أو في مجموعة دول وشعوب مختلفة، ولا يشترط أن تعيش الأمة في إقليم واحد أو تنتسب إلى أصل عصبي أو قبلي واحد، فالأمّة إذاً تختلف عن القبيلة أو العشيرة، حيث القبيلة جماعة من الناس يجمعهم الإقليم الجغرافي الواحد. وبذلك يتضح لنا أنّ اختلاف الناس إلى قبائل وشعوب أمر حتمي جبري، جعله الله من طبائع الناس وأحوالهم على الأرض من حيث أنّ اختلاف البيئات الجغرافية يجعل منهم شعوبا، واختلاف الأجداد الذين تنحدر منهم كل جماعة منهم قبائل وعشائر" (الدسوقي، مقومات المجتمع المسلم، 1986، صفحة 122).

يمكن القول من خلال ما سبق من تعريفات متعددة أنّ الأمّة: كل جماعة من الناس لها رؤية شاملة للإنسان والحياة والكون ينبثق عنها منهج متكامل يصبغها بصبغته ويميزها بطابعة.

أمّا مفهوم الأمّة فيما يتعلقبالحضارة الغربية، تأتي نتيجة تفاعل نوعين من العوامل

الأولى: عوامل موضوعية، مثل اللغة المشتركة، التاريخ المشترك، الانتماء العرقي الواحد، الإقليم الواحد، المصالح المشتركة، الآمال الموحدة، بالإضافة إلى العادات والتقاليد والثقافة المشتركة.

الثانية: عوامل ذاتية، تتمثل في وعي الأفراد بامتلاكهم هوية متميزة ومستقلة تدفعهم للتعبير عن هذه الشخصية الفريدة من خلال التنظيم. وقد اعتبرت الدراسات أن هذا التفاعل بين النوعين من العوامل سيؤدي إلى تكوين أمّة ذات أداء حضاري مشترك وذات وحدة سياسية.

يتضح من المقارنة السابقة بين مفهومي الأمة في الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، أنّ مفهوم الأمة في الحضارة الإسلامية أكثرغنى، لأنه لا يقوم فقط على الاجتماع الواحد، والعادات الواحدة والتقاليد الواحدة.. إلخ. بل لا بد من تحقيق الأمة أموراً أخرى اجتماعية وشرعية فيجعلها أكثر إنسانية وأكثر انفتاحاً وأكثر شفافية وأكثر مدنية.

د. مفهوم الحضارات

مفهوم الحضارة لغة:

ورد في "لسان العرب" أن لفظ "الحضارة" يُنطق بكسر الحاء أو فتحها، وهي مشتقة من الفعل «حضر» الذي يعني نقيض «غاب»، ومنه جاء مصطلح «الحضر» و«الحاضرة» و«الحضرة»، وتعني المدن والقرى والريف. وسُمِّيَت بذلك لأن سكانها يقيمون في الأمصار والمساكن الثابتة. وبالتالي، فإن الحضارة في اللغة تعني الإقامة في الحضر، على عكس «البادية» التي قد تكون مشتقة من الفعل «بدا» ومضارعه «يبدو»، أي ظهر وبرز، فأصبح اللفظ يشير إلى المكان، ويعني الإقامة خارج الحضر. وقد استخدم الشاعر القطامي لفظي «الحضارة» و«البادية» بمعناهما اللغوي

في قوله: «ومن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا». وورد في الحديث الشريف: «لا يبع حاضر لباد»، إشارة إلى جهل القادم من البادية بسعر المبيع فيقع في الضرر، وفي هذا إشارة إلى ما بين البداوة والحضر من اختلاف (الأنصاري، لسان العرب، 1994، صفحة 197).

مفهوم الحضارة اصطلاحا: عرف ابن خلدون الحضارة على أنها أسلوب حياة مستقر يستلزم توفير مجموعة متنوعة من المهارات في مجالات العلم، والعمل، والصناعة، والإدارة. شؤون الحياة وأسباب الرفاهية. هذه الحضارة تمثل قمة التقدم الإنساني، وتعتمد على الجوانب المادية التي يدرك الإنسان فوائدها بحواسه، إلى جانب كل ما يعبر عن القيم الإنسانية، دون التفريق بين الأفراد على أساس اللغة أو الجنس أو الانتماء الوطني. وأشار إلى أنها حالات إضافية تتجاوز الضروريات وتتنوع بتنوع مستوى الرفاهية بين الأمم (خلدون، 2007، صفحة 137)، ويضيف ابن خلدون أن الحضارة هي التفنن في الترف وإتقان الصناعات المستخدمة في مجالاته وأساليبه المختلفة، مثل الطهي والملابس والمباني والأثاث وجميع عادات المنزل وشؤونه. (خلدون، مقدمة ابن خلدون لكتاب ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 2007، صفحة 137)

لقد بيّن ابن خلدون أن الحضارة لا تظهر إلاّ في المدن والقرى، وأنها غاية العمران، تتصل بالتفنن في الترف والاهتمام بالصنائع وسائر الفنون، والحضارة عنده لا تظهر في البادية لاقتصار البدو على الضروري من العيش الذي يحفظ الحياة من غير المزيد.

إذن هي الجهود التي يبذلها الإنسان لتحسين ظروفه وتحصيل الأفضل في شتى المجالات. أما الحضارة الإسلامية فتُعرَّف بكل ما قدّمه الإسلام للبشرية

من قيم ومبادئ وقواعد أسهمت في رفع شأنها وتقدّمها في مختلف المجالات. وتهدف هذه الحضارة إلى تحقيق السعادة الروحية للإنسانية جمعاء، إلى جانب تعمير الأرض وتنميتها وفقاً لشريعة الله تعالى ومصداقاً لقوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ هود: 61.

أمّا مفهوم الحضارة عند المجتمع الغربي فهي «سيطرة الإنسان على الطبيعة وتحقيق أكبر قدر ممكن من السعادة والمتعة له» (بكار، 2011، صفحة 45)، من خلال هذا التعريف نخلص إلى أن الحضارة الغربية تركز على الجانب المادي فقط لهذا تجد نفسها تواجه التحلل الحضاري، وهذا ما يؤكده الدكتور أنور الجندي بقوله: «يتجلى زيف الحضارة الغربية في أسسها الحقيقية التي تقوم على الربا، نسبية الأخلاق، وموقفها المنحرف تجاه المرأة، الأسرة، والمجتمع.» (الجندي، 2009، صفحة 224) على الرغم من نجاح الفكر الغربي في تحقيق التقدم العلمي، إلا أنه أخفق في التعامل مع الجوانب الإنسانية في المجتمع، مما جعل الحضارة الغربية قائمة على صراع القوي ضد الضعيف. لهذا أكد مالك بن نبيّ على أنّ كل حضارة لا تقوم إلاّ بتوفر مجموع الشروط الأخلاقية والمادية الخاضعة للقيم الآتية من عند الحق سبحانه وتعالى، وإلاّ يصير نهايتها الزوال والاندثار (نبي، 1993، صفحة 28).

2.1 تعريف الوقف لغة واصطلاحا

أ. تعريف الوقف في اللغة: كلمة الوقف تعتبر مصدرا من وقف يقف وقفاً، وتجمع على أوقاف وأوقف، وتستعمل لعدّة معان من أبرزها ما يلي:

1. السكون، يقال: وقفت الدابة، أي سكنت.
2. الحبس، يقال: وقفت الدار، أي حبستها في سبيل الله.
3. المنع، يقال: وقفت الرجل عن الشيء، أي منعته عنه.

4. التسبيل، يقال: وقفت الدابة: أي جعلتها في سبيل الله.

5. الحبس والمنع، يقال حبست الشيء إذا حبسته ومنعته.

6 - الموقوف، تسمية بالمصدر (الفيومي، 1912، صفحة 256).

أصل كلمة "الوقف" يشير إلى الاستقرار أو التمكث في شيء. كما ورد في «معجم مقاييس اللغة»: «الواو والقاف والفاء تشترك في أصل واحد يدل على التمكث في شيء، ويتم القياس عليه» (الرازي، معجم مقاييس اللغة ، 1979، صفحة 135)

ب. تعريف الوقف في الاصطلاح:

أما بالنسبة لتعريف "الوقف" اصطلاحًا، فقد تباينت آراء الفقهاء بناءً على اختلافهم في بعض المسائل المتعلقة به، مثل مسألة لزوم الوقف، ملكية العين الموقوفة، وشروط الموقوف عليه. ومن بين التعريفات التي توضح هذا الأمر ما يلي: عرفه الحنفية أخذاً من كلام الإمام أبي حنيفة بأنه: «حبس العين على حكم ملك الواقف والتصدق بالمنفعة ولو في جملة» (عابدين، 1966، صفحة 337)، وأخذاً من كلام الصاحبين بأنه: «حبس العين على حكم ملك الله تعالى وصرف منفعتها على من أحب» (عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، 1966، صفحة 339).

وعرفه المالكية بأنه: «إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازماً بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديراً» (النفراوي، 1995، صفحة 150).

وعرفه الشافعية بأنه: «حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه، بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح موجود» (زكريا، 2000، صفحة 457).

وعرفه الحنابلة بأنه: «تحبيس مالك مطلق التصرف ماله المنتفع به مع بقاء عينه، بقطع التصرف في رقبته، وصرف ريعه إلى جهة بر تقربا إلى الله تعالى» (البهوتي، 1982، صفحة 240). وجاء

عندهم أيضا: «حد كثير من الأصحاب الوقف بأنه: تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة» (البهوتي، دقائق أولي النهي، 1996، صفحة 398).

وهذه التعريفات لا تفارق المفهوم اللغوي الذي يشير إلى حبس العين ومنع التصرف فيها، سواء من الواقف أو الموقوف عليها، مع إتاحة فرصة استفادة الموقوف عليها من العوائد والفوائد. والاختلافات بين هذه التعريفات تعود إلى الاختلافات الفقهية في تعريف الوقف وشروطه وأركانه التي اعتمدها الفقهاء (معابدة، 2006).

3.1 مشروعية الوقف عموماً

لقد ذهب جمهور العماء إلى مشروعية الوقف، وذلك للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة، منها ما يلي:

1 - قوله تعالى:

﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿77﴾ ﴾ الحج.

2 - قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ آل عمران:92.

3 - قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ البقرة: 267.

4 - قوله ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»" (مسلم، 1991).

5 - ما رواه عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَصَابَ عُمَرُ بِخَيْبَرَ أَرْضًا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: أَصَبْتُ أَرْضًا لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ مِنْهُ، فَكَيْفَ تَأْمُرُنِي بِهِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ حَبَّسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا»، فَتَصَدَّقَ عُمَرُ أَنَّهُ لاَ يُبَاعُ أَصْلُهَا وَلاَ يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ فِي الفُقَرَاءِ، وَالقُرْبَى وَالرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالضَّيْفِ وَابْنِ السَّبِيلِ، لاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ» (البخاري، 2002).

6 - ما رواه أبو عبد الرَّحْمَن السلمي قال: لما حُصِر عثمان أشرف عليهم فوق داره ثمّ قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن حراء حين انتفض قال رسول الله ﷺ: «أثبت حراء فليس عليك إلَّا نبي أو صديق أو شهيد» قالوا: نعم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة «من ينفق نفقة متقبلة» والناس مجهدون معسرون فجهزت ذلك الجيش، قالوا: نعم ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن بئر رومة لم يكن يشرب منها أحد إلَّا بثمن فابتعتها فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل قالوا: اللهمَّ نعم وأشياء عددها. (الترمذي، 1975).

7 - ما روي عن جابر رضي الله عنه أنّه قال: "لم يكن أحد من أصحاب النبيّ ﷺذو مقدرة إلاّ وقفّ" (المقدسي، 1985، صفحة 348).

بناء على هذه الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية ذهب أكثر الفقهاء إلى مشروعية الوقف، حتى قال الإمام أحمد: "من يرد الوقف إنما يرد السنة التي أجازها النبيّﷺ وأصحابه" (مفلح، 1980، صفحة 312)، وقال الإمام الشوكاني: "اعلم أنّ ثبوت الوقف في هذه الشريعة وثبوت كونه قربة أظهر من شمس النهار" (الشوكاني، 1985، صفحة 313).

2. مشروعية الوقف على غير المسلمين وفائدة البحث فيه

1.2 مشروعية الوقف على غير المسلمين

يتفق الفقهاء على أن من شروط الموقوف عليه أن يكون جهة بر وقربة، مثل الفقراء والمساكين والمجاهدين، وليس جهة معصية، مثل قطاع الطرق، المشعوذين، أندية القمار، أو أي جهة أخرى تُعَدُّ من المعصية. ولكن يبقى السؤال: هل يمكن إدراج فقراء أهل الذمة وغير المسلمين ضمن جهات البر والقربة؟ وهل يجوز وقف الأموال من المسلمين على غير المسلمين؟

اتفق العلماء على صحة وقف المسلم على الكافر غير الحرب (السيواسي، صفحة 200) (أي الذمي أو المستأمن)، ولا يؤثر في هذا ما ذكره بعض الشافعية من اشتراط عدم ظهور قصد المعصية (الدر بنجوى، 2001، صفحة 237)والأدلة على صحة هذا القول هي كالآتي:

1 - عموم قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿8﴾﴾ الإنسان. والأسير لا يكون إلاّ كافرًا في الغالب، فَمَدْحُ الله للمتصدق عليه دليل جواز الصدقة عليه.

2 - ما روي أنّ صفية بنت حيي زوج النبيّ ﷺ وقفت على أخ لها يهودي، فلو كان غير جائز لأبطله النبيّ ﷺ ، جاء في المغني: "ويصح الوقف على أهل الذمة لأنهم يملكون ملكاً محترما " (الزركشي، 1993، صفحة 298)، ويجوز أن يتصدق عليهم فجاز الوقف عليهم كالمسلمين، ويجوز أن يقف المسلم عليه لما روي أن صفية بنت حيي زوج النبيّ ﷺوقفت على أخ لها" (قدامة، 1969-1968، صفحة 373)، وفي المبدع: "ولأن من جاز أن يقف عليه الذمي جاز أن يقف المسلم عليه" (مفلح ا.، 1997، صفحة 60).

3 - قوله تعالى:

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿272﴾﴾ البقرة، جاء في تفسير القرطبي عند تفسير الآية: «هذا الكلام متصل بذكر الصدقات، فكأنه بين فيه جواز الصدقة على المشركين، روى سعيد بن جبير مرسلا عن النبيّ ﷺ في سبب نزول هذه الآية أن المسلمين كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة فلما كثر فقراء المسلمين قال رسول الله ﷺ: «**لا تَصَدَّقُوا إلّا عَلى أهْلِ دِينِكم**»، فنزلت هذه الآية مبيحة للصدقة على من ليس من دين الإسلام». (القرطبي، 1964، صفحة 337)

وظهرت مشاريع وقفية في بلاد المسلمين تستهدف مصارف عالمية لا تقتصر على المسلمين أو المقيمين في الدول الإسلامية. مثل هذه المشاريع تحتاج إلى تنظيم دقيق من الناحية الشرعية لتتوافق مع الاجتهادات الفقهية المعترف بها في هذا المجال لذلك كثر التساؤل حول مكانة غير المسلمين في الوقف ومدى أحقيتهم في هذه المشاريع الوقفية وإدراجهم فيها. خاصة وأن الساحة الفكرية اليوم تشهد نقاشا واسعاً حول وضع غير المسلمين في الدولة الإسلامية والحريات الدينية والمدنية التي يتمتعون بها. هذا النقاش غالباً ما يكشف عن جهل بالأحكام الشرعية الصحيحة، وهو ما يؤدي إلى الإفراط من بعض الجاهلين والتفريط من بعض الغافلين. لذلك، من الضروري توضيح الأحكام الشرعية المتعلقة بغير المسلمين في جميع المجالات، بما في ذلك الوقف. فثقافة الوقف في الإسلام واسعة وشاملة، تعكس قيم الإسلام العالية في الرعاية والمواساة والرحمة والتسامح. ومن مظاهر شمولية الوقف عند المسلمين، أنه يشمل غير المسلمين وتتنوع أحكامه وإطاره التشريعي ليشملهم، بل ويقبل أوقافهم ومشاركتهم في أعمال الخير. (للأوقاف، 2005)،

ربما نحن اليوم أكثر احتياجاً من الماضي لإبراز آثار الوقف ودوره في تحقيق التواصل والتقارب بين المسلمين وغيرهم ممن يعيشون داخل الدولة الإسلامية أو خارجها (دور الوقف في بناء الحياة الاجتماعية).

كما أنّ هذه الدراسة – في أحكام الوقف على غير المسلمين – تتيح بيان سماحة هذا الدين ورحمته بالناس على اختلاف ديانتهم، والإسهام في نشر الإسلام، وإظهار عدم التحيز في توزيع المنافع والموارد، وبيان عدم تعصب المسلمين لطائفة أو ملة دون أخرى، وكف الأذى عن المسلمين، فمعلوم أنّ الإحسان إلى الناس يذهب شرر نفوسهم، ويكتم غيظهم، ويمنع من أذيتهم.

3. الأسس العامة للوقف الإسلامي على غير المسلمين وأثرها في تحقيق التعارف والتعايش بين الأمم والحضارات.

1.3 الأسس العامة للوقف الإسلامي على غير المسلمين

لا يوجد إشكال في إقامة الوقف الإسلامي لصالح غير المسلمين المقيمين في المجتمعات الإسلامية، فهو مبني على أسس الثقافة والحضارة الإسلامية ويخضع للأحكام الشرعية. وبالنسبة لوجود غير المسلمين في هذه المجتمعات، فهم يعتبرون أقلية ضمن مجتمع مسلم. وقد عدّ الفقهاء (الإسلامية، 1990، صفحة 130) أهل الذمة مواطنين في الدولة الإسلامية، فالمواطنة في الإسلام تتحقق بأحد عقدين، إمّا عقد الإسلام، وإمّا عقد الذمة أي العهد والأمان، حيث كان أهل الذمة في كفالة ورعاية وحماية المجتمع الإسلامي، ففي حديث رواه أبو داود في سننه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «ألا مَن ظلمَ مُعاهدًا، أوِ انتقصَهُ، أو كلَّفَهُ فوقَ طاقتِهِ، أو أخذَ منهُ شيئًا بغَيرِ طيبِ نفسٍ، فأَنا حَجيجُهُ يومَ القيامةِ». وكذلك أوصى بهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: "أُوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً أن يوفى لهم بعهدهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم" (آدم، 1974، صفحة 80).

أما إذا كان الوقف الإسلامي موجهًا لغير المسلمين في المجتمعات غير الإسلامية، فالأمر يختلف، حيث إن هذه المجتمعات تتمتع بخصوصيات تخالف خصوصيات المجتمع الإسلامي، سواء من حيث الأسس الثقافية والحضارية التي تقوم عليها، أو من حيث وجود الأقلية المسلمة فيها، إذ يعتبر المسلمون في هذه المجتمعات أقلية ضمن مجتمع غير إسلامي، ويخضعون لسلطان قانوني يختلف كثيرًا أو قليلًا عن سلطان الأحكام الشرعية.

وهذه المعطيات كلّها ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في إقامة الأوقاف الإسلامية بالمجتمعات غير الإسلامية حتى تكون محققة للمقاصد التي من أجلها شرّعت.

وفي هذا الصدد يمكن ضبط جملة من الأسس الّتي يمكن أن تتأسس عليها هذه الأوقاف جامعة بين المقتضيات الشرعية من جهة، وبين المقتضيات الواقعية من جهة أخرى، ولعلّ من أهم هذه الأسس ما يلي:

أ. الأساس الدعوي

من أبرز الواجبات الشرعية والتكاليف الإيمانية التي ينبغي على جميع المؤمنين الالتزام بها، بغض النظر عن مكانتهم أو قدراتهم، هو واجب تبليغ دعوة الله للناس كافة، لهدايتهم إلى الصراط المستقيم وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. ويقع هذا الواجب بشكل خاص على عاتق العلماء المخلصين والدعاة المربين والأئمة المصلحين. وقد جعل الله تعالى هذا التكليف واجباً على رسوله الكريم ﷺ، الذي أُرسل رحمة للعالمين، ليكون مثالاً في أداء هذه المهمة السامية بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ليتبعه في ذلك العلماء والدعاة.

لذا على المسلمين الذين يعيشون في المجتمعات غير الإسلامية أن يقوموا بحركة دعوية نشطة، تقوم من جهة على أساس علمي اجتهادي يهدف إلى تيسير الحلول الشرعية للمشاكل التي يواجهونها في حياتهم داخل مجتمع غير إسلامي، ومن جهة أخرى على جهود كبيرة تُبذل لتوعية المسلمين بمقتضيات دينهم إيمانيًا وسلوكيًا، ولترقية التزامهم الديني ليكون التزامًا صحيحًا، لا إفراط فيه ولا تفريط. كما تهدف هذه الحركة الدعوية إلى أن يكون المسلمون المقيمون في المجتمعات غير الإسلامية نموذجًا حضاريًا إسلاميًا على الصعيدين الفردي والجماعي، مما يساهم في التأثير الإيجابي على الآخرين. (النجار، 2011)

ب. الأساس الحضاري

وجود المسلمين في المجتمعات غير الإسلامية يتطلب منهم أن يكونوا نموذجًا حضاريًا إسلاميًا، يتمثل في القيم الإسلامية الكبرى على المستويين الإنساني والتعميري. هذا النموذج يهدف إلى إثراء الحضارة الغربية، وترشيدها في بعض جوانب القصور. كما يسعى لأن يكون بلاغًا للناس يعبر عن الدين في قيمه العقدية والأخلاقية والتشريعية، ويخاطبهم بما يقنعهم ليستفيدوا منها كنمط عملي، مما يؤدي إلى إقناعهم به كنظام للحياة عقديًا وسلوكيًا وحضاريًا. هذا الدور المطلوب يستلزم أن يتجه المسلمون في المجتمعات غير الإسلامية بتدينهم نحو القضايا الكبرى والأساسية ذات البعد الاجتماعي والإنساني العام، بالإضافة إلى التدين الفردي المتعلق بخاصة النفس، كالالتزام بالعبادات ومكارم الأخلاق وما شابه ذلك. الهدف هو الإسهام في البناء الحضاري بطريقة صحيحة، وتحويل هذه القضايا إلى مشاريع عملية تنجز ذلك البناء وفق التوجيه الإسلامي. مثل هذه القضايا تشمل التربية والأسرة، والتكافل الاجتماعي، والبحث العلمي، والحفاظ على البيئة وغيرها. هذه القضايا تتطلب جهودًا كبيرة وتكاليف تفوق قدرات الأفراد وجهودهم، وتتطلب التعاون الجماعي. يمكن للوقف الإسلامي أن يلعب دورًا مهمًا في هذا الشأن لتحقيق هذه الأهداف الكبرى للوجود الإسلامي في المجتمعات غير الإسلامية. (النجار، 2011)

ج. الأساس الجماعي

المسلمون المقيمون في المجتمعات غير الإسلامية يواجهون تحديات كبيرة في تدينهم، نظرًا لقوة أسباب الغواية في هذه البيئات. لذا، من الضروري أن يكون البعد الجماعي حاضراً بقوة، لتعزيز التآزر بينهم، وتقديم الرعاية والدعم من بعضهم لبعض، ومن الهيئة الاجتماعية للجميع. هذا التعاون الجماعي يصبح

4 - أورد السرخسي في المبسوط: "أن رسول الله ﷺ أهدى إلى أبي سفيان رضي الله عنه تمر عجوة حين كان بمكة حربيا واستهداه أدَما وبعث بخمسمائة دينار إلى أهل مكة حين قحطوا لتفرق بين المحتاجين منهم" (السرخسي،، 1989، صفحة 92). فإذا كانت الهدية للحربي – زمن المهادنة – مشروعة، فهي للذمي غير المحارب أولى من حيث الصلة والبر، قال أبو عبيد: "وإنما وجه هذا عندنا أن الهدية كانت في الهدنة التي كانت بين رسول الله ﷺ وأهل مكة قبل فتحها، فأما مع المحاربة فلا" (الزنجويه، صفحة 589).

5 - ومن الأدلة أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» (البخاري، صحيح البخاري، 2002، صفحة 354)، قال ابن تيمية: "فلو وقف أو وصى لمعين جاز وإن كافراً ذميا، لأن صلته مشروعة. وقد ثبت في الصحيح عن النبيّ ﷺ أنه قال: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»، فإذا أوصى أووقف على معين ومات كافراً أو فاسقا لم يكن الكفر والفسق هو السبب لاستحقاق ولا شرطاً فيه، بل هو يستحق ما أعطاه"، فلا تعد المعصية - مالم يشترط الواقف فيها- مانعًا من الصدقة والصلة بين الناس، ومنها الوصية والوقف، ولو على الذمي، لا سيما من ذوي القرابة.

6 - ومن الأدلة كذلك جواز الوصية والهبة والصدقة على غير المسلمين، جاء في كتاب أحكام أهل الذمة (الجوزية، 1997، صفحة 602)، قوله: ". لا ريب أنّ الصدقة جائزة على مساكين أهل الذمة والوقف صدقة فها هنا وصفان وصف يعتبر وهو المسكنة ووصف ملغى في الصدقة والوقف وهو الكفر، فيجوز الدفع إليهم من الوقف بوصف المسكنة لا بوصف الكفر.لقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ

إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿9﴾ ﴾ الممتحنة.

7 - ذكر الخصاف في كتابه أحكام الأوقاف قال حدثني محمد بن بشير بن أحمد عن أبيه قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول في خلافته بخناصيره (بلد بالشام) سمعت بالمدينة والناس يومئذ بها كثير من مشيخة المهاجرين والأنصار أن حوائط رسول الله ﷺ التي وقف من أموال مخيريق، وقال (أي مخيريق) إن أصبت فأموالي لمحمد يضعها حيث أراه الله، وقتل يوم أحد فقال رسول الله ﷺ: «مُخيريق خَيرُ يهود»

وجه الدلالة هو أن مخيريقاً، الذي كان يهوديًا، قد وقف على رسول الله ﷺ، وقَبِلَ منه هذا الوقف. وهذا يُعَدُّ دليلاً على شرعية وجواز وقف الذمي على المسلم. بناءً على ذلك، إذا كان وقف الذمي جائزًا، فإن وقف المسلم على غير المسلم أيضًا يكون جائزًا، لأن المسلم لا يمكن أن يكون في وضع أدنى من الكافر (السدلان، 2006)

ولما كان المستأمن كالذمي في مدة أمانه صح الوقف عليه من المسلم، كما صح على الذمي.

مما تقدم يتضح أن العلماء متفقون على جواز الوقف على غير المسلمين، رغم اختلافهم في التفاصيل. وهذا يُعَدُّ دليلاً قاطعًا على أن نظام الوقف في الإسلام قد حقق نوعًا من التكافل الاجتماعي لم يسبق له نظير، بل لم يدانِه أي نظام آخر. كما أن المبدأ الذي يجيز الوقف على الكفار يعكس عدالة الإسلام وسماحته وموقفه العادل تجاه المخالفين.

2.2 فائدة البحث في أحكام الوقف على غير المسلمين

شهدت أعمال الوقف ومشاريعه ومؤسساته في العالم العربي والإسلامي توسعًا كبيرًا في السنوات الأخيرة، مع محاولات عدة لنقل الوقف من الإطار المحلي إلى الدولي والعالمي. فقد ظهرت مؤسسات وقف أنشأتها الجاليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية،

عاملاً مهماً لمقاومة الغواية العارمة وسبباً لالتزام الفرد بالجماعة، كما جاء في الحديث: «فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ» رواه ابن حبان.

يتم تحقيق التدين الجماعي عبر المؤسسات والمنظمات والمراكز الاجتماعية والثقافية والعلمية والتربوية والخيرية، وكذلك من خلال المشاريع الكبرى الاقتصادية والعمرانية وغيرها، التي تستوعب أعداداً كبيرة من الأسر والأفراد المسلمين. بفضل هذه المؤسسات والمشاريع، يمكن أن ينخرط معظم المسلمين اجتماعياً في مجالات الحياة العامة المختلفة، حيث يمارسون شعائرهم التعبدية، أو يقومون بأنشطة اقتصادية، أو يشاركون في فعاليات ثقافية، أو يتابعون ممارسات ترفيهية. هذا الارتباط الاجتماعي بالجماعة المسلمة يعزز من أدائهم الديني، ويحميهم من الانصهار في مجتمع يسوده ثقافة وقيم غير إسلامية، ويسر لهم الاندماج الإيجابي مع هذا المجتمع. ولتحقيق هذه الأهداف، يتطلب الأمر تمويلاً من الوقف الإسلامي لضمان استمرار هذه المشاريع وتحقيق أهداف المسلمين المقيمين هناك. (النجار، 2011)

د. الأساس الواقعي العملي

إن الوقف الإسلامي في جوهره قد وُجد لتلبية احتياجات المسلمين ومن يشاركونهم في العيش من الأفراد والجماعات، وهي احتياجات تتعلق بحاضرهم ومستقبلهم، مع الأخذ في الاعتبار تغير هذه الاحتياجات من وقت لآخر ومن مكان لآخر. ولذلك، لا يُفترض بالوقف أن يُخصص لتحقيق أغراض غير مرتبطة بالاحتياجات الواقعية، مثل الافتراضات غير الواقعية أو أشكال الترفيه التي لا تعبر عن حاجة معتبرة. على سبيل المثال، ليس من المنطقي أن يُخصص الوقف لإنشاء ملعب ترفيهي في قرية تفتقر إلى مدرسة أو مستشفى، أو أن يُخصص لتمويل مختبر علمي على سطح القمر لمجرد أن يصبح ذلك

ممكنًا في المستقبل. هذه الأغراض وما شابهها تعتبر غير ذات صلة بالحاجات الحقيقية، ولذلك لم يُشرع الوقف لأجلها. وتتغير الاحتياجات الواقعية للأفراد والمجتمعات من مجتمع إلى آخر ومن زمن إلى زمن، وذلك نتيجة لتغير الظروف والملابسات والأحوال التي تعيشها المجتمعات. (النجار، 2011)

تختلف ظروف المسلمين المقيمين في المجتمعات غير الإسلامية بشكل عام عن ظروف المسلمين في البلاد الإسلامية، وتتنوع احتياجاتهم بشكل كبير. لذا، يجب أن يُبنى الوقف على أساس عملي يتناسب مع هذه الاختلافات. على سبيل المثال، في البلاد الإسلامية، يتم توجيه جزء كبير من الوقف نحو الأغراض الخيرية لإعالة المحتاجين، ولكن هذا ليس مطلبًا عمليًا في البلاد غير الإسلامية حيث تتولى الدولة هذا الدور. بالمقابل، في البلاد غير الإسلامية، حيث لا تتوفر المدارس الإسلامية كما هو الحال في البلاد الإسلامية، يصبح من الضروري إنشاء مدارس لتعليم العلوم الإسلامية، مما يجعل الوقف موجهًا لتلبية الاحتياجات العملية الواقعية للمجتمعات الإسلامية هناك.

2.3 أثر أسس الوقف الإسلامي على غير المسلمين في تحقيق التعارف والتعايش بين الأمم والحضارات.

إنّ تحقيق أسس الوقف الإسلامي في المجتمعات غير الإسلامية في أرض الواقع يثمر ثماراً إيجابية تعود بالنفع على المسلمين أنفسهم وعلى غيرهم، فبتطبيق الأساس الدعوي تكون الجالية المسلمة قد حمت نفسها وأبناءها من الوقوع في الجهل بأحكام شريعة الله تعالى وذلك عن طريق التوعية الإسلامية، كما تحمي نفسها من الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام عبر وسائل الإعلام، كما أنّ غير المسلمين يستفيدون من هذا الأساس كذلك، وذلك ببيان لهم الإسلام وعرضه بالصورة الصحيحة التي جاء بها النبيّ محمدﷺ، دين لا غلو فيه ولا تفريط، دين يجمع بين

متطلبات الجسم والعقل والروح، ويجمع بين مصلحة الفرد والجماعة، دين لا يتعارض مع العقل والفطرة التي خلق عليها الإنسان، ممّا يجعلهم يدخلون في دين الله تعالى أفواجًا أفواجًا، وبالتالي يحصل التعارف والتعايش بينهم وبين المسلمين، كما أن تحقيق الأساس الحضاري يسهم في تعزيز التواصل الحضاري على المستويين الفكري والثقافي، من خلال بناء جسور تواصل بين الثقافات والحضارات. ويتم ذلك عبر تقوية الروابط بين الشعوب، حيث يعتمد التواصل على تبادل الأفكار، ومناقشة الآراء، والبحث عن القواسم المشتركة وحلول للتحديات التي تواجهها الأمم والشعوب. (نورة، 2021، صفحة 11) كما أن الأساس الجماعي له الأثر البالغ في ربط الفرد المسلم بإخوانه المسلمين، وإبعاده عن العزلة التي تكون سببًا في انحرافه وضعفه، لأن المؤمن قوي بأخيه ضعيف بمفرده، ويد الله مع الجماعة، كما جاء في الحديث النبوي: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ» (الترمذي، سنن الترمذي، 1975)، كما يعزز روح الانتماء المجتمعي بين أفراد الجالية المسلمة، ويجعلهم يشعرون بأنهم جزء من كيان واحد، استناداً إلى حديث النبي ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» (مسلم، صحيح مسلم، 1991)، أمّا فيما يتعلق بالأساس الواقعي للعمل فتكون آثاره بارزة بوضع الوقف في مكانه المناسب حيث يكون أكثر فعالية لمستحقيه.

4. مصاريف الوقف الإسلامي في المجتمعات غير الإسلامية وأثرها في تحقيق التعارف والتعايش بين الأمم والحضارات.

1.4 مصاريف الوقف الإسلامي في المجتمعات غير الإسلامية

إذا كان الوقف قد شرّع ليكون وسيلة لتحقيق أعمال البر، فإن هذه الأعمال

يمكن أن تتنوع بشكل كبير بناءً على حاجات المجتمع الذي تنشأ فيه الأوقاف، وقد تتغير تبعًا لتغير الظروف الزمنية والمكانية. فقد تنشأ حاجات جديدة للبر في زمن لم تكن موجودة في زمن سابق، أو في مكان لا تحدث في مكان آخر. وهذا يتطلب من الأوقاف أن تكون متيقظة لحاجات المجتمع، تواكب تغيرها وما يستجد منها، ولا تتجمد عند ما كان عليه العمل واستقرت عليه العادة من الأوجه التي توقف عليها الأوقاف كما هي مذكورة في المدوّنات الفقهية المتعلقة بهذا الموضوع من الأحكام الشرعية.

وبناءً على ذلك، ينبغي أن تكون مصاريف الوقف الإسلامي في المجتمعات غير الإسلامية متناسبة مع الوضع الخاص لهذا المجتمع، حيث يكون المسلمون أقلية ضمن أغلبية غير إسلامية، وأن تتوافق مع الأهداف التي يسعى إليها الوجود الإسلامي في تلك البلدان. لذلك، يمكن أن تختلف هذه المصارف عن المعتاد في المجتمعات الإسلامية، وفقًا للظروف الجديدة التي فرضتها ظروف المعيشة هناك على المسلمين (النجار، 2011)، ولعلّ من أهم هذه المصارف ما يلي:

أ. المؤسسات التربوية التعليمية

على الرغم من أن التعليم في المجتمعات غير الإسلامية تتكفل به الدولة بصفة مجانية في مراحله الأولى على وجه العموم، وفي المراحل الجامعية في أغلب الدول الأوروبية، إلا أن هذا التعليم المكفول يعتمد على مبدأ العلمانية. أما التعليم الديني، فإنه في معظم البلاد غير الإسلامية يترك لأهل الأديان ليتولوا شؤونه بجهودهم الذاتية. لذا، فإن الضرورة تدعو إلى أن يتوجه الوقف الإسلامي لإنشاء وتدعيم المؤسسات العلمية التربوية التي يتلقى فيها الناشئة المسلمة العلوم الشرعية وأصول التربية الإسلامية، لضمان استمرارية الوجود الإسلامي بصفته الإسلامية ثقافة وتربية.

وعليه فالاستثمار في المجال التعليمي يعتبر من المصارف المهمة للوقف، وذلك

بإنشاء مؤسسات تربوية لجميع المراحل العمرية، سواء تعلق الأمر بالتعليم الابتدائي، أوالمتوسط، أوالثانوي، أوحتى الجامعي، من أجل الوصول إلى مخرجات تتماشى مع احتياجات الأقليات المسلمة هناك، وتراعي خصوصياتها. (الريسوني، 2006)

ب. المؤسسات الاجتماعية

إنّ حاجة المسلمين في المجتمعات غير الإسلامية إلى تنمية العلاقات الاجتماعية وترشيدها تعد ضرورة قصوى، وذلك لأن المسلمين في هذه المجتمعات يعيشون في تباعد، حيث يشكلون قلّة متناثرة في مجتمع واسع ومترامي الأطراف. فالروابط بينهم تتطلب جهودًا كبيرة للوصل بين هذا الوجود المتناثر، وهذه الجهود تتجاوز ما يُبذل في المجتمعات الإسلامية لذات الغرض، حيث يتمتع المسلمون هناك بلحمة واحدة ونسيج مترابط، ويعيشون في تجاور جغرافي ودموي يسهل من ترابطهم تلقائيًا.

علاوة على ذلك، فإن المسلمين في المجتمعات غير الإسلامية تفصلهم عن باقي مكونات المجتمع الأخرى فواصل ثقافية ونفسية وغيرها. لذا، يجب عليهم أن يسعوا لإزالة تلك الفواصل، والعمل على التواصل الاجتماعي مع المحيط الذي يعيشون فيه، وتعزيز علاقات المواطنة مع أبناء مجتمعهم الجديد لتحقيق الأهداف المرجوة من وجودهم. وهذا يستلزم إنشاء مؤسسات تهدف إلى تحقيق وتطوير وتوجيه هذا الترابط للوجهة الرشيدة، مثل المراكز الاجتماعية، والنوادي الثقافية، ودور الشباب، والمؤسسات الخيرية، والجمعيات الدعوية، وما شابه ذلك.

ولتنفيذ هذه المهام، يحتاج الأمر إلى أموال طائلة لا يمكن للأفراد توفيرها إلا من خلال الوقف والعمل الجماعي. (النجار، 2011)

ج. المؤسّسات الدعوية

من أهم ما يحتاجه المسلمون في المجتمعات غير الإسلامية لتحقيق أهدافهم هو إنشاء مؤسسات دعوية تُعرِّف بالإسلام وتعرضه بصورته الصحيحة والمشرقة كعقيدة وسلوك، وتقدم حلولاً عملية للمشكلات التي يعاني منها الغرب خاصةً والإنسانية عامةً.

هذا الجهد الدعوي يتجاوز المسلمين ليصل إلى غير المسلمين، فيشرح لهم حقيقة الإسلام ويعرضها عليهم، وينخرط معهم في حوارات فكرية وثقافية وحضارية موجهة بالقيم الإسلامية. لتحقيق ذلك، يتطلب إعداد مناهج تتناسب مع البنية الثقافية والحضارية لذلك المجتمع، وتوفير معدات مادية، ومناهج إدارية، ووسائل تبليغيه. كل هذا يحتاج إلى تمويل كبير لا يمكن تحقيقه بالجهود الجماعية المدفوعة بدوافع دينية فقط. في هذا السياق، تأتي أهمية الأوقاف، حيث يتعاون المسلمون في تخصيص أموالهم لدعم هذه المؤسسات، مما يسهم بشكل كبير في تحقيق الخير للمسلمين ولغيرهم في المجتمعات غير الإسلامية (النجار، 2011).

د. مؤسّسات البحث العلمي

من أجل أن يحقق المسلمون المقيمون في المجتمعات غير الإسلامية أهدافهم ومشاريعهم، لا بد من جهود بحثية متخصصة، والتي لا يمكن القيام بها إلا من خلال مراكز بحوث متخصصة في هذا المجال. هذه المراكز قادرة على دراسة واقع المجتمع غير المسلم بجوانبه المختلفة، ودراسة الحلول الشرعية المتعلقة بذلك الواقع، للوصول إلى فقه يجمع بين فهم الواقع وفهم الدين. هذا الفقه يقدم الفتاوى الحضارية الكبرى المتعلقة بالوجود الإسلامي في البلاد غير الإسلامية، من حيث تعزيز وجوده ككيان إسلامي حقيقي، ومن حيث مساهمته الفعالة في المسيرة الحضارية للمجتمع غير الإسلامي، من خلال قيم إسلامية

نظرية وعملية توجه تلك المسيرة نحو الخير الإنساني.

وباعتبارهذه المراكز البحثية مصلحة مهمة للمسلمين في الغرب ولغير المسلمين أيضًا، ينبغي أن تكون ممولة من خلال الأوقاف في تلك الديار، فهي من وجوه البر التي تثمر ثمارًا حميدة. (الستار، 2011)

لتحقيق المسلمين المقيمين في المجتمعات غير الإسلامية أهدافهم ومشاريعهم، لابد من بذل جهود بحثية متخصصة، والتي يمكن إنجازها فقط عبر مراكز بحوث مختصة في هذا المجال. هذه المراكز تملك القدرة على دراسة واقع المجتمع غير المسلم بأبعاده المختلفة، واستنباط الحلول الشرعية المناسبة لذلك الواقع، للوصول إلى فقه يجمع بين فهم الواقع وفهم الدين. هذا الفقه يتيح تقديم الفتاوى الحضارية الكبرى المتعلقة بالوجود الإسلامي في البلاد غير الإسلامية، من حيث ترسيخ وجوده ككيان إسلامي حقيقي، ومن حيث مساهمته الفعالة في المسيرة الحضارية للمجتمع غير الإسلامي، عبر قيم إسلامية نظرية وعملية توجه تلك المسيرة نحو الخير الإنساني. (النجار، 2011)

2.4 أثر مصارف الوقف الإسلامي في المجتمعات غير الإسلامية في تحقيق التعارف والتعايش بين الأمم والحضارات.

لقد كان لتنوع مصارف الوقف الإسلامي في المجتمعات غير الإسلامية الأثر البالغ في تعزيز روابط التعارف والتعايش وتحقيق التواصل الحضاري فيما بينهم، فتوجيه الوقف للمؤسسات التربوية والتعليمية أثمر ثماراً إيجابية من خلال تنمية أخلاق المسلمين وتقوية شخصيتهم والاعتزاز بهويتهم الإسلامية، وغرس أخلاق الاعتدال والرحمة والمحبة في نفوسهم، والتحلي بالقيم الإسلامية في الواقع العملي الذي يعيشونه، كما أسهمت في إنشاء المكتبات الوقفية، والمعاهد وتوفير الكتب ونشر التعليم

الديني، وذلك كله من أجل الحفاظ على الجالية المسلمة من الذوبان في الآخرين، كما أن وجود المؤسسات الاجتماعية الوقفية أسهم بشكل كبير في تعزيز مبدأ التضامن الاجتماعي، ونشر روح التراحم والتآلف بين أفراد الجالية المسلمة، وكذلك مع أبناء المجتمعات الأخرى. ممّا يسهم في المزيد من التماسك المجتمعي، وشعور الفئة المستفيدة من الوقف برحمة الآخرين لهم فيؤدي إلى الانفتاح المجتمعي بين الجالية المسلمة وغيرهم. فينتج ذلك التقارب والتراحم والتعارف والقبول بالطرف الآخر، كما أن توجيه مصارف الوقف في المؤسسات الدعوية كان لها الأثر الكبير في أداء واجب تبليغ دعوة الله لجميع الناس، لهدايتهم إلى صراط الله المستقيم وإخراجهم من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الحق والإيمان، وهذا يتطلب مضاعفة الجهود وتوفير إمكانيات كبيرة لإعداد دعاة مؤهلين لمواجهة التيارات الضالة والمضللة، وحماية الأجيال من خطر الحملات الإعلامية الشرسة التي تستهدف الإسلام وتشوه صورته. فيقوم العلماء والدعاة بعرض دين الله با لصورة الصحيحة الناصعة المشرقة والرد على تلك الشبهات بالحجّة والبرهان، كما أن توجيه الأوقاف إلى مؤسسات البحث العلمي لا يقل أثراً عن سابقيه، فلا يمكن للوجود الإسلامي في المجتمعات غير الإسلامية أن يحقق أهدافه إلاّ بالبحث الدقيق والعميق ليهتدي إلى السبل الصحيحة الّتي تؤدي به إلى أهدافه، وتوصله إلى الوئام وتحقيق الشراكة الحضارية لما فيها من خير للجميع مسلمين وغير مسلمين، وتلقيح منتج للحضارة الغربية بقيم إسلامية نظرية وعملية خالدة فيها الحلول للكثير من المشاكل التي تعاني منها الحضارة الغربية، ولا يمكن أن يقوم بهذا الجهد الدراسي البحثي إلاّ مراكز البحوث المتخصصة في هذا الشأن (النجار، 2011)، وإذا ما تحقق هذا فإنه سيفتح آفاقا للتواصل الحضاري والتعايش السلمي والتقارب بين الأمم والشعوب.

وهذا ما نلاحظه بارزا ومجسدا في المشاريع الوقفية في شتى بلدان الغرب مثل مؤسسة الوقف الإسلامي في هولندا، ومركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، وأوقاف البوسنة والهرسك التي أقامها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، والجمعية الثقافية الألمانية، والرابطة الإسلامية في الدانمارك (المطوع، 2006، صفحة 98)، وغيرها من البلدان التي يتواجد فيها الأقليات المسلمة، التي كان لها الدور البارز في المحافظة على الهوية الإسلامية، وتوسيع الحوار الثقافي والحضاري بين المسلمين وأصحاب الأديان والعقائد والأفكار الأخرى للتفاعل الإيجابي المثمر.

الخاتمة

وفي نهاية هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج وبعض التوصيات كالآتي:

أولاً: النتائج

- حث الإسلام على التعارف والتعايش بين الأمم والشعوب وتعزيز التقارب والتواصل الحضاري ومن أهم السبل لتحقيق ذلك هو تشريع النظام الوقفي الإسلامي.
- يُعد نظام الوقف الإسلامي نظامًا إلهيًا وإنسانيًا في آن واحد، حيث يشمل نفعه كل مخلوق حي، سواء كان إنسانًا أو حيوانًا.
- تم توضيح مشروعية الوقف لغير المسلمين من ذميين ومستأمنين من حيث المبدأ، وما أضافه بعض الفقهاء من شروط إنما جاء لمراعاة باقي شروط الوقف.
- أجمع فقهاء المذاهب على عدم جواز الوقف على الحربي بشكل مطلق.
- اتفق الفقهاء على جواز الوقف من الذمي على كل أعمال الخير المشتركة بين الإسلام وملته.
- بيان أهمية البحث في أحكام الوقف على غير المسلمين وأثر ذلك في تحقيق التقارب والتواصل بينهم وبين المسلمين.
- يمكن للنظام الوقفي الإسلامي في المجتمعات غير الإسلامية أن يتأسس

على جملة من الأسس تجعله أكثر فعالية وتأثيرا في تحقيق أهداف الوجود الإسلامي في تلك البلدان الّتي يعيشون فيها، من هذه الأسس: الأساس الدعوي والأساس الحضاري والأساس الجماعي، والأساس الواقعي العملي.

- يمكن لمصارف الوقف الإسلامي في المجتمعات غير الإسلامية أن تلعب دورًا بارزًا في تقوية اللحمة بين المسلمين وبين المجتمعات غير الإسلامية التي يعيشون فيها، وتكون بالتالي جسور تواصل ثقافي حضاري بين الجالية المسلمة وبين غيرهم من الأمم والشعوب.

- يمكن للنظام الوقفي الإسلامي في المجتمعات غير الإسلامية مساعدة المسلمين في الاندماج المجتمعي وتعزيز التعارف والتعايش السلمي.

ثانيا: التوصيات

- وضع خطة لنشر الوعي بأهمية دور الوقف في التنمية الشاملة، من خلال تسليط الضوء على دوره التاريخي في بناء الحضارة الإسلامية، وإبراز إسهاماته التنموية في العصر الحديث، مع تعزيز الثقة في مؤسساته من خلال تحديث نظم إدارته والرقابة عليها.

- تعزيز الوعي بأهمية الوقف وعالميته، ورسالة الإسلام الداعية للتعايش بين الشعوب، وذلك بتفعيل دور الإعلام والمناهج التعليمية.

- السعي لتقنين الأحكام المشتركة في الوقف بين المسلمين وغيرهم، ليكون ذلك مرجعًا للعمل المشترك والمتقن بين الطرفين.

- اعتماد اجتهادات الفقهاء المعتبرين عند مناقشة عالمية الوقف وإنسانيته.

- فتح قنوات للتواصل مع غير المسلمين داخل الدولة الإسلامية وخارجها، لتمكينهم من التعرف على كيفية الاستفادة من أحكام الوقف والمشاركة في مجالاته المختلفة.

وفي الأخير نحمد الله تعالى على أن من علينا من فضله على إتمام هذه الرسالة، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الزنجويه، الأموال، تحقيق شاكر فياض، ط: مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، 1986.
- ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف أحمد البكري شاكر توفيق العاروري، ط (1)، بيروت، دار رمادي للنشر، دار ابن حزم، 1997م.
- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، فتح القدير بدون طبعة وبدون تاريخ، الناشر، دار الفكر، بيروت، 1970م.
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون لكتاب ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، 2007، بيروت.
- ابن عابدين، رد المحتار، محمد أمين، الشهير بابن عابدين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية 1386 هـ - 1966 م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة (عرف)، دار الجليل، 1399هـ - 1979م.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، مكتبة القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، (1388 هـ - 1968 م) - (1389 هـ - 1969 م).
- إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، المبدع شرح المقنع، ط (1)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1997م.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، طبع ونشر دار صادر، بيروت، 1414هـ – 1994م.
- أبو البقاء الكفوي، الكليات، ط (1)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1412هـ/ 1992م).
- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، سنن أبو داود، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

- أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، بيروت، دار الفكر، 1415هـ.

- أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، في غريب الشرح الكبير للرافعي، المطبعة الأميرية، مصر، 1330هـ - 1912م.

- آدم نوح معابدة، أحكام غير المسلمين في نظام الوقف الإسلامي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد 2، العدد 4، 1427هـ2006-م.

- الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، ط (1)، دار إحياء الثرات العربي، بيروت، 2001م.

- أساتذة معهد الفلسفة وأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي، ترجمة: شوقي جلال وسعد رحمي، دار الثقافة الجديد بمصر، بدون تاريخ.

- إقبال عبد العزيز عبد الله المطوع، تنبيه ذوي الألباب بحكم الوقف في بلاد أهل الكتاب- دراسة فقهية تطبيقية على الأوقاف الأوروبية، الكويت، 1427هـ- 2006م.

- الأمانة العامة للأوقاف بالشارقة، الوقف في الشارقة، الشارقة، الأمانة العامة للأوقاف، 2005م.

- أنور الجندي، مقدمات العلوم والمناهج، دار الأنصار، 26 مايو 2009.

- الباش حسن، منهج التعارف في الإسلام، منشورات جمعية الدولة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط (1) 2005م.

- برهان الدين إبراهيم بن محمد ابن مفلح، المبدع، بيروت، المكتب الإسلامي، 1400هـ.

- البغوي، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد اللّه النمر وعثمان جمعة، وسليمان مسلم، طبعة: 1409هـ عن دار طيبة، الرياض.

- البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن ادريس، كشاف القناع، دار الكتب العلمية.

- تفسير القرطبي، ط (2)، مصر، دار الكتب المصرية، 1964م.

- الخليل بن أحمد، كتاب العين، من منشورات مؤسسة الأعلمي.

- الدر بنجوى، محمد قمر عالم، الوقف في ضوء الكتاب والسنة بحوث مختارة مقدمة في الندوة الفقهية العاشرة لمجمع الفقه الإسلامي في الهند، ط (1)، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م.

- الدردير، أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد، الشرح الصغير 2019م.

- دور الوقف في بناء الحياة الاجتماعية https://waqef.com.sa/upload/40o0y29lxi4Y

الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، الدار الشامية، 1430هـ - 2009م، ط (4).

- الزركشي، شمس الدين محمد بن عبد الله، شرح الزركشي، ط (1)، السعودية، العبيكان، 1993م، (4/ 298).

- زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، أسنى المطالب شرح روض الطالب، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، دار الكتب العلمية - بيروت - 1422 هـ - 2000م.

- زكي الميلاد، تعارف الحضارات: الفكرة، الخبرة والتأسيس، مجلة الحوار الثقافي، العدد :1، 2013 م، جامعة مستغانم، الجزائر.

- السرخسي، شمس الدين، المبسوط، ط (1)، دار المعرفة، بيروت، 1989م.

سنن أبي داود، كتاب الصيد، طبعة دار الحديث، القاهرة، 1430 هـ - 2009م.

- سنن الترمذي، تحقيق أحمد محد شاكر، ط (2)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ - 1975م.

- سنن النسائي، كتاب الصيد، ط (3)، (1412هـ/ 1992م)، دار المعرفة – لبنان.

- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط (7)، دار الشروق، 1398هـ - 1978م، بيروت.

- صالح بن غانم السدلان، أبعاد الوقف الإسلامي على غير المسلمين وإسهاماته في التواصل معهم عبر العصور الإسلامية المختلفة، ورقة مقدمة في مؤتمر الشارقة والمجتمع الدولي، الأمانة العامة للأوقاف، الشارقة، 1426هـ - 2006م.

- صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط (1)، دار طوق النجاة، 1422هـ - 2002م.

- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1991م.

- عبد الستار أبو غدة، أحكام الوقف وسبل إحيائه وآليات تطوير استثماره، المجلة العلمية للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، العدد :18، جويلية 2011م – شعبان 1432هـ.

- عبد العزيز على الجمالي، التعايش السلمي، مجلة الجامعة الوطنية، صنعاء اليمن، العدد: 15، 2020م.

- عبد الكريم بكار، من أجل انطلاقة حضارية شاملة، ط (4)، دار القلم، دمشق، 1432هـ - 2011م.

- عبد المجيد النجار، الدور الحضاري للوقف الإسلامي للغرب، المجلة العلمية للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، العدد18، جويلية 2011م – شعبان 1432هـ.

- العويد نورة، التواصل الحضاري من منظور إسلامي، ط (1)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1443هـ / 2021م.

- فاروق الدسوقي، مقومات المجتمع المسلم، ط (2)، 1406هـ - 1986م، المكتب الإسلامي، بيروت.

- فرانسوا شاتلية، إيديولوجيات الحرب والسلم، ترجمة جوزيف عبد الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان (1) 1981م.

- القرشي، يحيى بن آدم، الخراج، ط باكستان، المكتبة العلمية، 1974م.

- قطب الريسوني، مصارف الوقف والأقليات المسلمة بالغرب، مجلة USUL

للبحوث الإسلامية بتركيا، العدد5، سنة 2006.

- مالك بن نبي، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبيّ، ط (1)، 1413هـ - 1993م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

- مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة وأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي، ترجمة: شوقي جلال وسعد رحمي، دار الثقافة الجديد بمصر، بدون تاريخ.

- المحلي، محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم المحلي الشافعي، شرح المحلي على المنهاج، جامعة القدس، فلسطين الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999.

- محمد أمين بن عمر بن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، 1386هـ-1966م.

- محمد بن علي الشوكاني، السيل الجرار، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405 هـ – 1985م، ط (1).

- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط/ 1، 1429 هـ - 2008 م.

- المعجم الوسيط، صادر عن مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط (4) 2008م.

- منصور بن يونس البهوتي، دقائق أولي النهي، بيروت، عالم الكتب، 1416 هـ - 1996م، ط (2).

- منصور بن يونس البهوتي، كشاف القناع، بيروت، دار الكتب العلمية، 1402هـ – 1982م ، (4/ 240).

- منى السالوس وسحر الصديقي، الوقف ودوره في الحياة العلمية والتعليمية، مجلة الثقافة والتنمية، العدد الثالث، جوان 2001.

- مؤسسة الوقف الأوروبي المسجلة في بريطانيا عام 1996م، موقع هذه المؤسسة على الشبكة للدولة بعنوان:

WWW.Europenwaqf.org

- موسوعة العلوم السياسية، إصدار جامعة الكويت، مادة 257.

- الموسوعة الفقهية، دار السلاسل الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1990م (ط2)، (7/ 130).

- موفق الدين عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، المغني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (5/ 348)، 1985م.

- ناصر بن سعيد السيف، التعايش (أنواعه، نماذج تطبيقه، التعايش الوطني والحضاري)،2016م، شبكة الألوكة. Books-librarynet

- يسرى وجيه السعيد، الآفاق المستقبلية في مفهوم التعايش الديني الماضي والحاضر، مجلة ذوات، الرباط، المغرب، العدد: 58، 2019 م.
http://www.univ-emir-constantine.edu.dz/download/cours2020/chari3a-iktisad/3eme-awqafz

خطبة الجمعة ليوم ليوم 04 جمادى الثانية 1446
الموافق 06 ديسمبر 2024م
بعناسبة مظاهرات 11 ديسمبر 1960

إعداد: د قويدر مشاعلة.
أمين المجلس العلمي لولاية عنابة

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله ولي المتقين، لا نحسن ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أدى الأمانة وبلغ الرسالة فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزوجل. فاتقوا الله حقيقة التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واعلموا أن أجسادنا على النار لا تقوى، وأكثروا من ذكر الموت والبِلَى، وقرب المصير إلى الله جل وعلا.

أيها المؤمنون نقف اليوم مع صفحة من صفحات تاريخنا المجيد، نقف اليوم مع مظاهرات الحادي عشر ديسمبر 1960م. فبعد أن أفلحت سياسات فرنسا المختلفة من قمع وتشريد وتقتيل ومجازر، راحت تبحث عن حل تخادع به الجزائريين، وتروح به بعض الوقت، فجاء ديغول بفكرة الجزائر الجزائرية وهو يريد بذلك أن تبقى الجزائر جزءا من فرنسا، و طرح هذه الفكرة في خطابه عند زيارته الجزائر في ديسمبر 1960م ظانا منه أن بإمكانه أن يغالط الشعب الجزائري الذي قرر ألا يحيد عن هدفه السامي وهو استرداد السيادة الوطنية، وهو لم ينس مجازر الثامن من ماي 1945

فكان لسان حاله: لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين.

فخرج الجزائريون في الحادي عشر ديسمبر في مظاهرات سلمية بقيادة جبهة التحرير الوطني كان شعارها الأساس هو: الجزائر مسلمة مستقلة، حيث خرجت كل الشرائح الاجتماعية في تجمعات حاشدة في الساحات العامة عبر كافة المدن الجزائرية.

إن هذه المظاهرات التاريخية العظيمة تؤكد مايلي:

1 - أن وحدة الشعب لا تغلب، فقد كان لهذه المظاهرات الصدى العالمي الكبير والبارز، حيث أدرجت الأمم المتحدة القضية الجزائرية في جدول أعمالها، وصدق قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿4﴾﴾ الصف، فالاتحاد قوة ما بعده قوة، قال الشاعر:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لاَ أَخَا لَهُ

كَسَاعٍ إِلَى الهَيجَا بِغَيرِ سِلاَحِ

2 - أن التضحيات لا تذهب هباء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿143﴾﴾ البقرة، لقد قدم الجزائريون تضحيات كبيرة في أزمنة طويلة ومتعاقبة، وما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا، وكان رجاؤهم في ربهم كبير واعتمادهم على تعاونهم وصبرهم عظيم، كما قال شوقي:

وَما نَيلُ المَطالِبِ بِالتَّمَنّي

ولَكِن تُؤخَذُ الدُّنْيَا غِلابا

عباد الله إن من الواجب علينا اليوم أن نذكر هذه التضحيات وهذا الجهاد المقدس الخالد لهذه الأمة المجاهدة ولهذا الشعب الباسل، وأن نربط النشء بهذا التاريخ انطلاقا من قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿5﴾﴾ إبراهيم.

وأن نربي أبناءنا على الأخذ بالأسباب وبيان مكامن القوة وغرس روح الوطنية والحفاظ على ذاكرة الأمة حتى نكون أوفياء لمن جادوا بمُهَجِهم فنسير على منهجهم، وقدموا دماءهم فنتقدم على آثارهم.

اللهم ارحم شهداءنا واحفظ المجاهدين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

بمناسبة اليوم العالمي للمتطوعين.

الحمد لله عدد آياته وكلماته، والصلاة والسلام على نبيه ملء أرضه وسماواته وبعد:

فيا أيها الناس إن مما اتفقت عليه العقول السليمة أن اتخذت يوما عالميا للتطوع في كل خامس من شهر ديسمبر، تشجع فيه على الأعمال التطوعية وتشيد بالمتطوعين وهي وقفة مع فعل الخير من غير طلب ولا إكراه ولا مقابل مادي، لأن التطوع ينبع من دافع داخلي يحفز على هذا الفعل.

وتعاليم الإسلام تحث على فعل الخير وتدفع إلى الأعمال التطوعية، قال تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿158﴾﴾البقرة، وقال: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾البقرة، وقال ﷺ: **«وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»** أخرجه الطبراني، فالإسلام يريد من أتباعه أن يكونوا نافعين مؤثرين في محيطهم بأعمالهم الخيرية التطوعية التي تجلب لهم الراحة النفسية والاحترام والتقدير بين الناس، هذا إضافة إلى الأجر عند الله تعالى يوم القيامة.

إننا في عالم يقدر النظافة والنظام والجمال، وهي مسؤولية جماعية.

إن الدراسات تشير إلى أن العمل التطوعي في المجتمعات المسلمة بعيد عنه في المجتمعات الغربية، هذه الأخيرة التي تعطي نماذج رائدة وعالمية في باب العمل التطوعي، مما يحتم علينا أن

نلفت الأنظار إلى هذه القضية وأن نعمل على نشر ثقافة التطوع بين شرائح المجتمع وخاصة الشباب، وأن تضطلع بهذه المهمة كل مؤسسات الأمة ومؤسسات المجتمع المدني، فمجتمع فيه ثقافة التطوع مجتمع واع راق مهذب منظم منضبط، متعاون متآخ متحاب، يستحق الحياة.

فهذا نداء للشباب الأمة وللفاعلين إلى المشاركة في الأعمال التطوعية التي تخدم المجتمع وتحافظ على أواصر المحبة والأخوة، وتبني روابط التعاون والتكافل مما يخدم المصلحة العامة للمجتمع.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم لنا ولكم، ولجميع المسلمين السداد. إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا وقال ﷺ : «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا**» رواه مسلم.